الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلـدون تيـــارت

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسـم التـاريخ

مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط موسومة بـــ:

الفكر الجغرافي في الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالبتان:

- بلقصة شهلاء
- بن عمارة ميمونة

إشراف الأستاذ:

د. خنيوي عبد الرزاق

لجنة المناقشة		
الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
د.ة. حجاج نجاة	أستاذة محاضرة	رئيسا
د. خنيوي عبد الرزاق	أستاذ محاضر	مشرفا
د.ة تريكي فتيحة	أستاذة محاضرة	مناقشا

السنة الجامعية: 1446هـ-1447هـ/ 2024م-2025م

بسم الله الرحمن الرحيم

بداية الشكر لله عز وجل على توفيقه لنا لإتمام هذا العمل المتواضع

بكل فخر وامتنان، نتقدّم بجزيل الشكر والعرفان إلى جميع الأساتذة الأفاضل الذين رافقونا خلال مسيرتنا الجامعية، وعلى رأسهم أعضاء لجنة المناقشة كل باسمه وأخصّ بالشكر أستاذي المشرف خنيوي عبد الرزاق، الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته السديدة ونصائحه البنّاءة، فله منا كل التقدير والاحترام على صبره ومساندته المتواصلة.

كما أتقدّم بخالص الشكر لمدراء المؤسسات التي أُتيحت لنا فرصة التربص بها، على تعاونهم الكريم وفتحهم المجال أمامنا للاستفادة من خبراتهم وتجاربهم. ولا يفوتنا أن نتقدّم بالشكر للأساتذة المؤطرين داخل تلك المؤسسات، الذين قدّموا لنا كل المساعدة والتسهيلات خلال فترة التربص.

وأخيرا، نرفع أسمى عبارات التقدير إلى جميع أساتذة قسم التاريخ بجامعة ابن خلدون – تيارت، لما قدّموه من علمٍ ومعرفة خلال سنوات دراستنا، فقد كانوا نعم الموجّهين ونبراس الطريق في هذه الرحلة العلمية.

شهلاء – ميمونة

الحمد لله حبا وشكرا وامتنانا على البدء والختام.

من قال أنا لها نالها وإن أبت رغما عنها. نلتها وعانقت اليوم مجدا عظيما، فعلتها بعد أن كانت مستحيلة. كانت دروبا قاسية، وطرقا خسرت بها الكثير ولكنّي "وصلت".

أما بعد، بداية أهدي هذا النجاح لنفسي الطموحة، ثم إلى كل من سعى معي لإتمام مسيرتي الجامعية. عائلتي كل باسمه، أساتذتي، دمتم سندا لا عمر له. بكل حب وفخر أهدي ثمرة تخرجي:

إلى التي جعل الله الجنة تحت أقدامها، إلى من غرست في روحي مكارم الأخلاق، إلى من كانت الداعمة الأولى والأبدية، ملاكي الطاهر، أهدي لكي مراحلي وإنجازاتي بجملها جملة وتفصيلا. "أمي حبيبتي"

إلى الذي زين إسمي بأجمل الألقاب، فيردد إسمي عاليا في عنان السماء حاملة شرف لقبك بكل فخر أنا لهذا الرجل ابنة، عاهدتك بهذا النجاح ها أنا أتممت وعدي وأهديته لك "أبي حبيبي"

محمد، رحيل، راضية، أنتم النبض الذي يمدني بالحياة، كنتم الوتد الذي شد روحي حين مالت. نجاحي اليوم هو قطعة منكم... شكرا لكونكم معي. "إخوتي سندي"

إلى من كانوا السند الهادئ والدعاء الذي يسبق خطايا، هذا التخرج ليس خاتمة سعيي فقط بل هو أيضا ثمرة تشجيعكم وامتداد لجميل عطائكم. أهديكم هذا التخرج "جدتي وخالتي"

إلى من ملأوا حياتي حبا ودفئا لا يضاهى كنتم دائما مصدر الدعم الذي لا يقدر بثمن "عماتي"

واخيرا أقولها بكل فخر، نعم فعلتها ووصلت. فالحمد لله على ما مضى، والحمد لله على ما هو قادم وعسى القادم أجمل. وآخر دعواهم أن..." الحمد لله رب العالمين".

شهلاء

إلى من كانت وما زالت قلبا نابضا بالحب والدعاء، إلى **"جدتي الغالية خيرة"**، التي تغمرني بحنانها وتلهمني بصبرها دمتي لي نورا لاينطفئ، وسندا لا يعوض.

إلى **"أمي الحبيبة"**، من غرست في حب العلم وسهرت على راحتي، إلى **"أبي العزيز"** من كان سندي ومصدر قوتي، لكما كل الشكر والدعاء، فما كنت لأبلغ هذه المرحلة لولاكما.

إلى **"خالاتي العزيزات"**، إلى **"أخوالي الكرام"**، الذين كانوا دوما مصدر حب و تشجيع، أقول كل دعم منكم كان له أثر لاينسى في نفسي.

إلى **"إخوتي الأعزاء"** أسماء وأحمد، رفيقي الدرب والمساندين في كل خطوة، أشاركم ثمرة هذا الجهد بكل فخر.

كما أهدي هذا العمل إلى **"زهرتي العائلة"**، صغيرتي القلب والروح، ناريمان وجوري، أرجو أن تكون هذه الخطوة مصدر إلهام لكما في المستقبل.

ولكل من أحبني ووقف إلى جانبي، أهدي هذا العمل المتواضع، سائلة الله أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، ومفيدًا في طريق العلم والمعرفة.

اللهم اجعل هذا العمل شاهدالي لا علي، وانفعني به يوم ألقاك، وارزقني به رضوانك وجنتك

ميمونة

المـــقـــدمـــة

يعد الفكر الجغرافي من أبرز أشكال الفكر الإنساني التي رافقت تطور الحضارات منذ أقدم العصور، إذ يمثل الوعي المكاني للإنسان، ومحاولته فهم العلاقة بين البيئة والأنشطة البشرية، وقد مرّ هذا الفكر بمراحل متعددة، تدرّج فيها من الملاحظة البسيطة إلى التحليل المنهجي، فصار علما قائما بذاته يعنى بدراسة الأرض، وتوزيع الظواهر والعلاقات بين الإنسان والمكان.

وقد شهد هذا الفكر تطورا نوعيا مع بروز الحضارة الإسلامية التي أسهمت في جميع المعارف الجغرافية من الحضارات السابقة وتطويرها ضمن منظومة علمية شاملة من خلال رحلاتهم وتجاربهم مدعومين بحافز ديني وحضاري، وفي قلب هذا التحول العلمي كان الغرب الإسلامي يمثل منطقة ذات أهمية بالغة في مسار تطور الفكر الجغرافي، فهو يمتد ليشمل بلاد المغرب الأدنى والأوسط والأقصى، إضافة إلى الأندلس، وهو مجال جغرافي شهد ازدهارا حضاريا وثقافيا بارزا، ساعد على بروز فكر جغرافي متميز، فقد عرفت هذه المنطقة نشاطا علميا واسعا، واحتضنت حواضر كبرى مثل قرطبة وفاس ومراكش وتلمسان، كما ساهمت الظروف السياسية وتعدد الطرق التجارية وازدهار حركة الرحلة، في خلق بيئة مناسبة لتطور هذا الفكر في هذه الربوع.

وقد جاء موضوع بحثنا معنونا على النحو التالي: وهو **الفكر الجغرافي في الغرب الإسلامي في العصر الوسيط**.

- **أهمية الموضوع:**

تكمن أهمية هذا الموضوع في كونه أنه يتناول جانبا علميا ومعرفيا مهما في الحضارة الإسلامية، وهو الفكر الجغرافي الذي لم يحظ مقارنة بغيره من العلوم بالعناية الكافية من طرف الباحثين، خاصة في نطاق الغرب الإسلامي، كما تكمن أهميته في تسليط الضوء على إسهامات علماء الغرب الإسلامي في تطوير هذا الفكر، إضافة إلى ابراز الدور العلمي والحضاري للغرب الإسلامي و تفكيك الصورة النمطية التي اختزلت ازدهار الحضارة الإسلامية

في المشرق فقط، في حين أن الغرب الإسلامي كان أيضا مجالا للإبداع والتجديد في مختلف العلوم، ومن بينها الجغرافيا التي جمعت بين البعد النّظري والميداني وبين العلم والتجربة.

- **الإشكالية:**

من خلال دراستنا لهذا الموضوع يتسنى لنا طرح الإشكالية التالية:

إلى أي مدى تطور الفكر الجغرافي في الغرب الإسلامي في العصر الوسيط؟

ويندرج تحت الإشكالية مجموعة من التساؤلات أهمها:

- كيف برز الفكر الجغرافي عند الحضارات القديمة ؟
- فيما تمثلت ملامح النهضة العلمية في العالم الإسلامي؟
- ما مدى تطور علم الجغرافيا عند المسلمون المشارقة؟
- فيما تمثلت اسهامات علماء الغرب الإسلامي؟

- **المنهج المتبع:**

لمعالجة هذا الموضوع اعتمدنا على المنهج التاريخي، ولأن طبيعة الموضوع جغرافية اعتمدنا كذلك على المنهج الوصفي.

- **الخطة المتبعة:**

انطلاقا من المعطيات المتوفرة، وما أتيح لنا من مصادر ومراجع في هذا المجال، تمكنا من بناء خطة بحث شاملة توزعت على فصل تمهيدي وثلاثة فصول متكاملة. وقد خصص الفصل التمهيدي لتأصيل الجانب المفاهيمي، من خلال تعريف علم الجغرافيا وبيان ماهية الفكر الجغرافي مع تتبع التطور عند الحضارات القديمة، مما يسمح بفهم الخلفيات الفكرية التي سبقت الحضارة الإسلامية. أما الفصل الاول فقد تناول ملامح النهضة العلمية في الغرب الإسلامي، من خلال إبراز السياق التاريخي والسياسي ورصد تطور العلوم وتسليط الضوء على الحواضر العلمية الكبرى التي ساهمت في نشأة بيئة علمية مزدهرة، واهتم الفصل الثاني برصد

تطور علم الجغرافيا في المشرق الإسلامي، باعتباره الإطار العام لنشأة هذا العلم داخل الحضارة الإسلامية، مع التطرق إلى دوافع اهتمام المسلمين به، وأبرز أعلامه في الشرق، بينما خصص الفصل الثالث لدراسة الإسهامات الجغرافية الخاصة بالغرب الإسلامي من خلال التركيز على دور الخرائط في الغرب الإسلامي ومدى تطورها، أما بالنسبة للعنصر الثاني تطرقنا إلى تبيان الدور الكبير الذي لعبته الرحلة في تطور الفكر الجغرافي من خلال التركيز على وصف بعض الطرق والمدن، إضافة إلى التعريف بأهم أعلام الجغرافيا بالمنطقة وتحليل أعمالهم ومناهجهم ويهدف هذا التقسيم إلى بناء رؤية شاملة ومتوازنة حول تطور الفكر الجغرافي في هذه المنطقة، وإبراز مكانته في التاريخ العلمي الإسلامي.

- **أهم المصادر:**

من أجل إنجاز هذا البحث، تم الاعتماد على مجموعة من المصادر والمراجع التي ساهمت بشكل فعّال في دعم مختلف جوانبه، وكانت سندا مهما في استكماله وإخراجه في صورته الحالية وهي على النحو التالي:

المصادر الجغرافية المتخصصة:

- **أبي عبيد البكري 487هـ/ 1049م:** كتابه المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، يعد هذا الكتاب من أقدم وأهم المصادر الجغرافية التي تناولت بلاد المغرب وإفريقية في العصر الإسلامي الوسيط، حيث أفادنا في الفصل الأول في التعرف على تسمية تونس وتاريخها الجغرافي في المصادر الإسلامية المبكرة، إذ يعد من أقدم الكتب التي وثقت أسماء المدن والبلدان في المغرب الإسلامي، غير أن البكري رغم دقته في توثيق الأسماء والمواقع لم يزر معظم المناطق التي وصفها بل اعتمد على مصادر سابقة وروايات شفوية.

- **ابن حوقل 367هـ/ 977م:**

كتابه صورة الأرض، بحث يعد هذا الكتاب أبرز المؤلفات الجغرافية في القرن الرابع الهجري ويتميز عن غيره من الكتب الجغرافيين السابقين بأنه جمع بين الوصف الجغرافي والملاحظة الميدانية، قدم لنا وصافا دقيقا لأهم المدن والطرق والممرات التي كانت بمثابة إضافة جغرافية هامة في موضوعنا والتي أدرجناها في موضوعنا ورغم كل هذه المعلومات فإن ابن حوقل ركز على الجانب الوصفي فقط وأهمل الجانب الجغرافي العلمي، فهو لم يقدم معلومات علمية دقيقة بل كان مركزا فقط على وصف ما رآه بشكل عيني.

- **ابن بطوطة 779هـ/ 1317م:**

كتابه تحفة النّظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، حيث يعد هذا الكتاب من أبرز مؤلفات أدب الرحلة في الحضارة الإسلامية، وقد جمع فيه ابن بطوطة مشاهداته وانطباعاته من خلال رحلاته الطويلة التي شملت المشرق والمغرب وبلاد الهند والصين. الذي أفادنا خاصة في الفصل الثالث وذلك في التعرف على شخصية ابن بطوطة كرحّالة وجغرافي والكشف عن أهم الأمور التي كانت خلال الرحلة التي قام بها ملما بكل المعلومات الخاصة به، مركزا على الجانب الذاتي له حيث أنه أهمل نوعا ما الجانب العلمي وأهم انجازاته الجغرافية بغض النظر عن هذه الرحلة الطويلة التي قام بها.

المصادر التاريخية:

- **ابن عذارى المراكشي ت بعد 712هـ/ 1312م:**

كتابه البيان المغرب في تلخيص أخبار ملوك الأندلس والمغرب ج:1و2، حيث يعد هذا الكتاب من أبرز المصادر التاريخية التي أرّخت لتاريخ المغرب والأندلس في العصور الوسطى، والذي زودنا بمعلومات قيمة حول التعريف بمدينة قرطاجة والأندلس، غير ذلك فهو قد أهمل بعض الجوانب المهمة، لأن اهتمام ابن عذارى كان بالمغرب الأوسط والأقصى مما جعله يغفل عن مناطق أخرى في الإسلام.

- **الحافظ جلال الدين السيوطي 911هـ/ 1505م:**

كتابه تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، يعد هذا الكتاب من أبرز المؤلفات حيث جمع السيوطي في هذا الكتاب خلاصة جهود المحدثين قبله، أمدنا هذا الكتاب على وجه الخصوص بتقديم تعريف شامل كامل بعلم الحديث والتاريخ، إلا أنه قد غفل عن بعض النقاط التي قد تخدم موضوعنا لأنه ركز فقط على علم الحديث بصفة خاصة.

المراجع:

- محمد محمود محمدين، الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان.
- عيسى علي ابراهيم، الفكر الجغرافي والكشوفات الجغرافية.
- صلاح الدين الشامي، الفكر الجغرافي سيرة ومسيرة.
- عصام عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب والأندلس.

الدراسات السابقة:

رغم وفرة الدراسات التي تناولت الفكر الجغرافي في الحضارة الإسلامية بوجه عام، إلا أن المعالجة التي اعتمدناها في هذا البحث – من حيث الربط بين تطور الخرائط، ومفاهيم الرحلة الجغرافية، ومسارات التنقل بين الغرب الإسلامي والمشرق، مع توظيف نماذج تطبيقية من مدن مغاربية– تعد مقاربة جديدة نسبيا. فحسب اطلاعنا على الأدبيات المتوفرة، لم نجد دراسة سابقة عالجت هذه المحاور بشكل متكامل وضمن إطار واحد، مما يمنح هذا العمل طابع السبق العلمي، ويبرز مساهمته في سد ثغرة قائمة في مجال الدراسات الجغرافية الإسلامية.

صعوبات الدراسة:

واجهت هذه الدراسة بعض الصعوبات كأي دراسة أخرى ، من أبرزها قلة المصادر المتخصصة في موضوع الفكر الجغرافي في الغرب الإسلامي، وندرة الدراسات الحديثة التي تناولت الخرائط عند العلماء المسلمين، ممّا تطلب جهدا إضافيا في التتبع والتحليل.

الفصل التمهيدي:

الجغرافيا وتطور الفكر الجغرافي في الحضارات القديمة

1- مفهوم علم الجغرافيا
2- ماهية الفكر الجغرافي
3- الفكر الجغرافي في الحضارات القديمة

بدأ الانسان في التعرف على الواقع الجغرافي ويتحسس الأشياء من حوله، وذلك عبر رحلة طويلة من الزمن، برز فيها اجتهاده في ذلك ويظهر لنا من خلال الحضارات القديمة التي عاش فيها. حيث أنه سعى إلى الاكتشاف والاستطلاع لشكل الارض والسماء والتأثر بالطبيعة وزاد اهتمامه بتزايد حاجياته ومتطلباته وكيفية سير حياته بالشكل الجيد، وما رآه في التباين الجغرافي من مكان إلى آخر هو الذي حتمه إلى الاهتمام بعلم الجغرافيا وتفكره منذ القدم وذلك في دائرة اتسعت مع اتساع وتصاعد اختراق حاجز المسافة في أنحاء الارض من حولها، كما استوجب ايضا عليه التفكير والتدبر والبحث في المعرفة الجغرافية. بالتأكيد أن هذه المسيرة التي قام بها الانسان لم تكن بالأمر الهين وأيضا كانت شاقة بالنسبة له. لكنه توصل الى العديد من الحقائق والمعارف الجغرافية التي كانت تشغل تفكيره آنذاك. وقد اختلف التفكير الجغرافي من حضارة الى اخرى، من الحضارة المصرية والبابلية الى باقي الحضارات الاخرى اليونانية والرومانية والفينيقية وهذا ما سنتطرق اليه في هذا الفصل حيث تم تقسيمه الى ثلاث عناصر وهي كالآتي:

- مفهوم علم الجغرافيا.
- ماهية الفكر الجغرافي.
- الفكر الجغرافي في الحضارات القديمة.

1- مفهوم علم الجغرافيا:

لم يتوصل الدارسون والباحثون بعد الى تعريف جامع مانع لعلم الجغرافيا وذلك بسبب التطور الذي شهدته وتشهده الجغرافية والفكر.[1]

فالجغرافيا كلمة يونانية قديمة (اغريقية)[2] تتكون من مقطعين صوتيين (Géo) وتعني الارض و(Graphy) تعني وصف. وبذلك يكون المعنى وصف الارض[3] حسب كتاب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة حيث قال: "**أن علم الجغرافيا كلمة يونانية بمعنى صورة الارض وهو علم يتعرف منه على أحوال الأقاليم السبعة الواقعة من الرّبع المسكون من الكرة الأرضية وكذلك عروض أحوال البلدان وأيضا عدد المدن والجبال والأنهار والبراري وغير ذلك** "[4].

أول من استخدم مفهوم الجغرافيا هو العالم الاغريقي ايراتوستين الذي عاش في الاسكندرية في القرن الثالث قبل الميلاد[5]، يوضح بطليموس في قوله: "**أنّ الجغرافيا هي تمثيل بالصورة لكل العالم المعروف وما فيه من الظاهرات** ... ".

من التعريفات الشائعة للجغرافيا:

- دراسة الاختلافات المكانية
- توزيع ظاهرات سطح الارض
- العلاقة المتبادلة بين الطبيعة الحيّة والطبيعة الغير حيّة.[6]

---

[1] محمد صبحي عبد الكريم، دراسات في الجغرافيا العامة، دار النهضة العربية، القاهرة، 1980 م، ص: 18.

[2] محمد قويسم، مفاهيم جغرافية عند المسلمين في العصر الوسيط، دورية كان التاريخية، ع: 13، سبتمبر، 2011، ص: 55

[3] رينيه كلوزيه، تطور الفكر الجغرافي، دار الفكر، ط:1، دمشق، سوريا، 1982م، ص: 25

[4] مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص: 590

[5] حمدي أحمد حامد، علم الجغرافيا والبيئة علاقات تأثير وتأثر، دار الراية للنشر والتوزيع، ط: 1، عمان، الأردن، 2013م، ص: 13

2- ماهية الفكر الجغرافي:

هو فكر نشأ بالضرورة نشأة عفوية تلقائية مع ميلاد الحياة على سطح الارض أي عند ظهور الإنسان لأول مرة، وهذا يتجلى في المراحل التي عاشها الإنسان وهو يتعامل مع الطبيعة ويكتشفها. ومن خواص ذلك هو بداية ظهور الفكر العفوي.

أولا: كان هذا التفكير الجغرافي تفكيرا يأتي بشكل تلقائي أو عفوي بمعنى أن الإنسان لم يعتمد مباشرة هذا التفكير أو التمّعن في مدركات جغرافية، وكان من شأنه أن يواجه المنظور الجغرافي الطبيعي على صعيد الأرض أو على صعيد قيمة السماء وتشد المدركات الجغرافية انتباهه وهذا باستخدامه لحواسه وهذا ما هزّ قدراته في التفكير والتّمعن وجعله نوعا من التّحدي لاكتشاف عناصر الصورة الجغرافية والاقتراب منها.

ثانيا: كان هذا التفكير الجغرافي تفكيرا يتسم بأنه خاص بالفرد وذاته داخل أسرته كما تعني هذه الخصوصية شيئا من التنوع والاختلاف من خلال المسؤولية المشتركة بين الزّوج والزّوجة قبل الأولاد ويظهر ذلك في تباين التوجهات الجغرافية سواءا في الأسرة أو المجتمع بشكل بسيط.

ثالثا: كان هذا التفكير الجغرافي تفكيرا يتمثل في التراث الذي تركه الإنسان منذ القديم الغير مكتوب من خلال ما حاول الإنسان معرفته عن ما يدور من حوله، فهذا التراث يعدّ ملكه وهو صاحبه حيث أنه كان لا يستطيع التكلم لأنه لا يملك أي لغة مشتركة أو أبجدية تجعله يدوّن أو يسجل ذلك التراث بل كان موجودا في ذاته واعتمد في ذلك على ذاكرته لحفظ كل ما هو مهم من نتائج هذا التراث الجغرافي. وقد كان في وسعه ترسيخه وتوريثه من جيل إلى جيل فهذا ما أدى إلى سهولة تعامله مع المدركات الجغرافية. فمثلا تعامله مع النار، فعند رؤيته لها لأول مرّة يمكن أنه قد خاف منها وهلع كما خاف منها

---

[6] محمد محمود محمدين، الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان، دار الخريجي للنشر والتوزيع، ط:2، الرّياض، 1418هـ/1996م، ص ص: 25-27

الحيوان. لكن حاجته إليها دفعته أن يتحدى وأن يقترب منها ويستعملها بمهارة في مختلف الأمور كالدفيء والنور وطهي الأكل وبعد ذلك أدرك أيضا مدى خطورتها وحاول أيضا التّصدي لذلك.

ومن كل هذا نستنتج من خلال هذا المنطلق الموضوعي كيف كان حصاد الفكر الجغرافي العفوي في قاعدة التراث الإنساني على الأرض وأن الفكر الجغرافي الذي وصل إلينا الآن مكتوبا ومسجلا لم يكن من فراغ وعدم، بل كان نتيجة المهارات التي قام بها الإنسان منذ وصوله على سطح الأرض [1].

3- الفكر الجغرافي في الحضارات القديمة:

أ- عند المصريين:

ظهرت الحضارة المصرية والتي تعتبر أرض الرّسل والرّسالات[2]، أعظم حضارة عرفها التاريخ [3] في فترة ليست قبل خمسة وثلاثين قرنا قبل الميلاد [4]، والتي كان لها الدور الأكبر في نمو وتطور المعرفة الجغرافية من خلال الإنجازات الرّائدة التي قام بها الإنسان المصري وهذا ما ساهم وبشكل كبير في تعزيز مسيرة الفكر الجغرافي وقد ظهر ذلك من خلال وادي النيل الذي يعتبر النهر الذي ارتبط به الفكر الجغرافي حتى قيل أن مصر (هبة النيل) [5]، فقاموا في بادئ الأمر بمعرفة منابعه وذلك بعدة رحلات برية ونهرية وحاولوا ربط البحر المتوسط بالبحر الأحمر عن طريقه وهذه الأفكار كلّها توحي إلى أنّ هناك حسّ جغرافي واضح عندهم، كما أنهم تفننوا في رسم الخرائط. ويقال أنهم أوّل

---

[1] صلاح الدين الشامي، الفكر الجغرافي سيرة ومسيرة، نشأة المعارف، الإسكندرية، 1999م، ص ص: 19-50.

[2] علي بن عبد الله الدفاع، رواد علم الجغرافيا في الحضارة العربية الإسلامية، مكتبة التوبة، ص: 15.

[3] رمضان عبده علي، حضارة المصريين القدماء، مهد الرّسل والرّسالات وأرض النبؤات، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 2013م، ص: 33.

[4] علي بن عبد الله الدفاع، المرجع السابق، ص: 15.

[5] حسن علوي ناصر الزيادي، تطور الفكر الجغرافي في الحضارات القديمة، مجلة أوروك، جامعة المثنى، م:7، ع:1، 2014م، ص: 4.

من رسم الخريطة، فقد وضعوا خريطة لبحيرة موريس وخريطة أخرى أيضا للقطر المصري والبلدان الواقعة على الأقطار الإفريقية. وما يوضّح ذلك هو الرسوم والنقوش التي وجدت على جدران المعابد، وهذا ما زاد فضولهم للتعرف على الجبال والبحار والأنهار بالإضافة إلى المأكل والمشرب، وما ساعدهم على ذلك هو تعبيدهم للطرقات من أجل تسهيل عملية التنقل من مكان لآخر ومواصلة عملية الاكتشاف وهذا لا يعني عدم وجود صعوبات ومخاطر تواجههم إلّا أن هذا لم يمنعهم بل ثار فيهم حب الاستطلاع والاكتشاف العلمي.[1]

برع المصريون القدماء في كثير من نواحي المعرفة الجغرافية وقد اشتملت على النواحي التالية وهي:

- ملاحظة الظاهرات الفلكية ومحاولة تفسيرها واستخدامها في التقويم، الرحلات الداخلية، رسم الخرائط.
- كما أنهم قسّموا السنة إلى 12 شهرا في كل شهر ثلاثة عقود كل عقد عشرة أيام أي أنّ السنة 36عقدا كل منها يرتبط بمجموعة من النّجوم، وكل شهر 30يوما، كذلك قسّموا السنة إلى ثلاثة فصول بكل منها أربعة أشهر. [2]

ركز المصريون على اتجاهين أساسيين للمعرفة الجغرافية ألا وهما:

- الاتجاه الذي تطلّع فيه الاجتهاد إلى توسيع المعرفة بالكون ومكان وجود الأرض فيها وقياس أبعادها.
- الاتجاه الذي تطلّع فيه الاجتهاد إلى توسيع المعرفة بمساحات الأرض حول مصر.

ففي **الاتجاه الأول** أخذوا مدة طويلة في الرّصد الفلكي وتطلّعوا أيضا على قبة السماء ووقعوا في شيء من الخيال والوهم، وبنوا معرفة جغرافية على أساس الأساطير

[1] علي بن عبد الله الدفاع، المرجع السابق، ص: 16.

[2] محمد محمود محمدين، المرجع السابق، ص ص: 54-56.

هذا من ناحية أمّا من ناحية اخرى فقد راقبوا أجرام السماء وحركتها وهذا ما ظلّل نوعا ما الفكر الجغرافي المصري لأنهم أخذوا تكوين الأرض وشكلها من وحي الخيال.

ولكنه أفلح هذا التفكير من جهة اخرى عندما اهتموا بمسألة رصد السماء وتغيراتها.

بالنسبة **للاتجاه الثاني** فقد كان شأن آخر هناك فقد سلكوا سبيلين هما سبيل التعرف على الأرض، وسبيل التعرف على الناس، وهذا ما يشكل بداية مبكرة للتسجيل الجغرافي.[1]

ب- عند البابليين:

استوطن البابليون في بلاد ما بين النهرين أي الأرض الممتدة بين نهري الدجلة والفرات، وتزامنت الحضارة البابلية مع حضارة مصر القديمة، إذ يعد البابليين أول من رسموا خرائط تفصل مناطق سهل العراق، وقد كان فكرهم الجغرافي يشمل نظرتهم في خلق الكون واعتقادهم أن الكون خلق قبل السماء وقبل الأرض.

تفنن البابليون بالمعرفة الجغرافية بخصوص الأرض ومعرفة النجوم والمهارة في الرصد الفلكي بأدوات بسيطة. [2]

كانوا يهتمون بالتجارة مع البلدان المجاورة لهم وهذا حسب موقعهم الجغرافي بوصولهم لأجزاء شبه جزيرة العرب[3]، وأقصى الهند وشمال إفريقيا فعبروا مضيق جبل

---

[1] صلاح الدين الشامي، المرجع السابق، ص ص: 65-69.

[2] حسام نجم الدين، مجموعة محاضرات نشرت على موقع جامعة ديالي على الرابط:https://coehuman.uodiyala.edu.iq، تم الاطلاع عليه بتاريخ 2025/01/05، ص:1.

[3] **شبه جزيرة العرب:** تقع شبه جزيرة العرب في جنوب غرب آسيا، وهي تمثل قلب المشرق العربي واتصلت بالأقاليم المجاورة له منذ القدم، ينظر: فتحي محمد أبو عيانة، دراسات في جغرافية شبه جزيرة العرب، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999، ص: 3.

طارق [1]، وهذا ما دل على كثرة أسفارهم مما جعلهم يتفننون في الدراسة عن كثب مثل حركة النجوم لأنها تعتبر مصدر هام لمعرفة الاتجاهات الأربعة والمسالك الصحراوية حيث أبدع علماء بابل بمعرفة البروج وهي بيوت الشمس على مدار السنة بحيث ظهر ذلك من خلال ما تم تناقله بين المؤرخين للعلوم في العصر الحديث، فالكلمة المستخدمة في اللغة اللاتينية التي تعني برج هي (Sigma) في اللغة الانجليزية فهي (Signa) ومصدرها اللفظ اليوناني(Samia).

فاهتم البابليون بعلم الفلك حيث قاموا بربطه بعلم الجغرافيا لتكملة بعضهما البعض ويظهر هذا في الكتاب الموجز في تاريخ العلوم لصدقوك و تيلر حيث قاموا برسم خريطة دقيقة لمنطقة البروج الاثني عشر، وهذا ما يدل على تفننهم في هذا المجال وقد عينوا الوقت الدي يأخذه كل كوكب في مداره المحدد له. وبذكاء حسبوا طول السنة الشمسية 365يوما و15دقيقة و41ثانية، تكاد هذه القيمة أن تكون قريبة من القيمة الحقيقية.[2]

في بابل ارتكز الاجتهاد الجغرافي لمعرفة قيمة الرحلات الجغرافية في توسيع حدود دائرة المعرفة الجغرافية من خلال التعرف على المجهول من الأرض، عادات وتقاليد الناس وطريقة معيشتهم وقد أظهر هذا السعي في اسهام جيد ومناسب في صناعة الجغرافية التاريخية. [3]

---

[1] **مضيق جبل طارق**: يقع مضيق جبل طارق البحري بين اسبانيا شمالا والمغرب جنوبا ويصل بين مياه البحر الأبيض المتوسط ومياه المحيط الأطلسي، تسميته العربية القديمة بحر الزقاق وبحر المجاز فتعود التسمية للقائد طارق بن زياد الذي عبره في بداية الفتوحات الإسلامية عام 711م . ينظر: موقع ويكيبيديا على الرابط https://arwikipidia .org تم الاطلاع على الرابط بتاريخ 2025/01/24

[2] علي بن عبد الله الدفاع، المرجع السابق، ص: 19.

[3] حسين علوي ناصر الزيادي، المرجع السابق، ص: 4.

حسب كتاب تطور الفكر الجغرافي لشريف محمد شريف فإن ظهور الإمبراطورية البابلية يرجع نحو (2100 ق.م)، وأعظم ملوك بابل حمورابي [1] الذي يعتبر أعظم شخصيات التاريخ القديم، فقد قام بوضع قانون كفل بنظامه أعلى درجة للبابليين حيث قاموا ببناء سفن أبحروا ما بين نهري الدجلة والفرات حتى البحر، حيث اعتمدوا الملاحة على طول السواحل المجاورة دون توغلهم في البحر وهذا لتمام معرفتهم بأن الملاحة في الخليج العربي تحتاج إلى معلومات متقدمة في ميدان الفلك، فكان شغلهم الشاغل، قاموا بتقسيم اليوم إلى أربع وعشرين ساعة والساعة إلى ستين دقيقة والدقيقة إلى ستين ثانية.

يعتبر هذا النظام مستخدم عبر التاريخ، فاستفاد من هذا التقسيم علماء الهند واليونان والرومان. كما قاموا برسم خريطة لبلادهم منقوشة على لوح من الطين حيث توجد أقدم خريطة عملها البابليون في متحف الساميات بجامعة هارفارد الأمريكية.

كما كان لهم تصور في شكل الأرض على أنه شكل قفة مقلوبة، بينما علماء العرب والمسلمين في القرن الثاني الهجري أثبتوا كرويتها. حيث بقي هذا الإثبات متعارف عليه عبر الأزمان إلى يومنا هذا. [2]

ت- **عند الإغريق (اليونانيين):**

قسّم اليونان الجغرافيا إلى قسمين رئيسيين هما الجغرافيا الفلكية والتي تقوم على ركائز وهي دراسة الكرة الأرضية وأبعادها وخطوط الطول ودوائر العرض وحركة الأرض. أمّا القسم الثاني وهو الجغرافية الوصفية الإقليمية والتي تتمثل في رسم البلدان،

[1] حمورابي: (حمورابي تلفظ امورابي وتعني المعتلي) حكم بابل بين عامي 1782-1682 ق، م حسب التاريخ المتوسط هو من العموريين وهو سادس ملوك بابل وأول ملوك الامبراطورية البابلية، ورث الحكم من أبيه "سين موباليت " ينظر: أحمد خالد عبد المنعم، حمورابي – دراسة تاريخية - ، ط:1، 1436هـ – 2015م، ص: 16.

[2] علي بن عبد الله الدفاع، المرجع السابق، ص: 20.

وقد أضافوا إلى ذلك البدايات الاولى للجغرافيا الرياضية والنباتية، اهتموا بدراسة المناخ والتضاريس والانهار وكذا الكوارث الطبيعية كالزلازل والبراكين وغيرها وأكدوا بالدّرجة الاولى من تأثيره على السكان كما أنهم صنفوا الاقاليم المناخية.[1]

برع اليونان في تقديم أفكار جديدة لعلم الجغرافيا وعلى رأسهم هيكا تيوس الملطى الذي يرى بأن الكواكب ثابتة وإنما الأرض هي التي تتحرك.

عرفت الجغرافيا عندهم تقدما واضحا[2]حيث أنهم تمكنوا من قياس محيط الأرض، ومن الأوائل الذين قاموا بذلك هو بودوكسوس والذي قدره بحوالي 44000 ميل وذلك في النصف الأول من القرن الرابع قبل الميلاد، بالإضافة إلى ذلك فإن الفلاسفة اليونانيين حاولوا تطوير الآراء التي سبقتهم حول شكل الأرض وكيفية تكوينها.

ت-1 الأرض عند بعض علماء الإغريق:

- **فيثاغورس:** يقول إن الأرض كروية ودورانها حول محورها قد أثبت ذلك.
- **طاليس** [3]: أنكر دوران الأرض حول نفسها.
- **هيكا تيوس:** وضع خارطة سنة 517ق.م للعالم جعلت اليونان مركزا للمعمورة وسائر البلدان المحيطة بها.
- **اريستاركوس:** أشار إلى ثبوت النّجوم وقال بأن الشمس ساكنة والأرض هي التي تتحرك حولها. [4]

---

[1] ابتهال عادل ابراهيم الطائي، تاريخ الإغريق منذ فجر بزوغه وحتى نهاية عصر الإسكندر المقدوني، دار الفكر، ط:1، عمان، الاردن، 1435هـ -2014م، ص ص: 282-283.

[2] علي بن عبد الله الدفاع، المرجع السابق، ص: 36.

[3] طاليس: فيلسوف عاش في مدينة ميلطس المصرية في فترة ما بين (624-554) ق.م وهو من أصل فينيقي. ينظر: الى كتاب تاريخ الإغريق منذ فجر بزوغه وحتى نهاية عصر الإسكندر المقدوني، المرجع السابق، ص: 284

[4] المرجع نفسه، ص ص: 285-286.

ت–2 الخرائط عند الإغريق:

- **خارطة ألكسندر** [1]: لم يبتكر اليونانيون فكرة الخارطة وإنما اخذوها عن البابليين والمصريين القدامى. يعد رسم الخرائط بالنسبة لالكسندر مشروعا هاما وخطوة عظيمة يقوم بها ويعد أول اغريقي يضع خارطة للعالم، كما انه رسم خارطة للملاحين.
- **خارطة هيكا تيوس** [2]: أوّل من جعل الخارطة جزء من الجغرافيا وصوّر الأرض على هيئة قرص، اضافة الى ذلك فقد قام بجمع العديد من المعلومات للجغرافيا الطبيعية والبشرية.
- **خارطة هيرودوتس**[3]: رسم خارطة المخالفة لما جاء به هيكا تيوس حيث أنه رسمها على أسس غير رياضية قبل ان يتوصل اليونانيون إلى معرفة خطوط الطول ودوائر العرض، من الملاحظات التي [4]وجدت في الخارطة التي أعدها أن بعض الاسماء فيها كانت غير دقيقة وكذلك منابع بعض الأنهار ومن الملاحظ أن علماء اليونان قد نجحوا نجاحا باهرا في رسم الخرائط للمناطق التي يعرفونها وزاولوا في رسمها. [5]

ث– عند الرومان:

الرومان هم شعب ارتحل ربما من شرق أوروبا أو من آسيا ثم رحلوا إلى الجزر الإيطالية ابتداءا من القرن الثاني عشر قبل الميلاد وأسسوا مدينة روما القديمة [6] في القرن الثالث قبل الميلاد، برزت روما كقوّة بحرية واقتصادية مهيمنة في شبه جزيرة إيطاليا مما قسم البحر المتوسط إلى قسمين شرقي

---

[1] الكسندر: (546 ق.م) هو جغرافي اغريقي من مالطا، اول من اخترع الساعة الشمسية وهي عبارة عن إسطرلاب بسيط ، ينظر: المرجع نفسه، ص: 286.

[2] هيكا تيوس: (550، 485) ق.م، مؤرخ جغرافي، صاحب كتاب رحلة حول المتوسط، أصله من مالطا، ينظر: المرجع عادل إبراهيم الطائي المرجع السابق، ص: 287

[3] هيرودوتس: (484، 425) ق.م، مؤرخ وجغرافي ولد في آسيا الصغرى، ينظر: المرجع نفسه ص: 287

[4] المرجع نفسه، ص287

[5] علي بن عبد الله الدفاع، المرجع السابق، ص ص: 38-39.

[6] فيان موفق النعيمي – ياسر عبد الجواد المشهداني، تاريخ اليونان والرومان في الشرق الأدنى، ط:1، دار الفكر ناشرون وموزعون، المملكة الأردنية الهاشمية – عمان، 2013-1434، ص: 194.

وغربي، دارت معركة شرسة مع قرطاجة التي اعتمدت على التجارة البحرية بينما اعتمدت روما على الزراعة والأرض. انتهى الصراع باستسلام قرطاجة واعتراف اليونان بسيادة روما [1]، فمراكز الحضارة لا تظل ثابتة بل تتحرك وتنتقل من مكان إلى آخر، حيث تتراجع الحضارات القديمة وتسود الحضارات الجديدة، وهذا ما حدث مع الحضارة الاغريقية والرومانية. [2]

توسع الامبراطورية الرومانية يعود الى قوتها العسكرية الهائلة التي سيطرت على معالم العالم القديم بحيث الموقع الجغرافي لإيطاليا له أهمية تاريخية كبيرة بكونه عاملا أساسيا في الدفاع عن أراضيها.

الحضارتان اليونانية والرومانية ترتبطان بروابط فكرية وثقافية واضحة، بحيث جزء كبير من نشاطهما الفكري حدث خارج مراكزهما الجغرافية في شبه جزيرة اليونان وإيطاليا حيث تأثرتا بالحضارات العراقية والمصرية القديمة وهذا ما أدى إلى تشابه الأفكار الفلسفية والدينية والتبادل الثقافي والفني بين الحضارات الثلاث وقد تكونت الحضارة الهلنستية نتيجة لذلك مما يمثل دمجا للعناصر اليونانية والشرق الأوسط. [3]

أظهر الرومان اهتماما خاصا بالقياس والخرائط مما ساهم في تطور العلوم الجغرافية، لعبت الإسكندرية دورا رائدا في المجالين العلمي والثقافي للدولة الرومانية حيث اجتذبت جغرافيين بارزين مثل سترابون [4] وبطليموس [5] الذين تركوا إرثا دائما في تاريخ الجغرافيا. فسترابون الجغرافي الاغريقي

---

[1] عيسى علي ابراهيم، الفكر الجغرافي والكشوفات الجغرافية، دار المعرفة الجامعية، 2000، ص: 40.

[2] محمد محمود حمدين، المرجع السابق، ص: 114.

[3] كمال عبد الله حسن، مجموعة محاضرات نشرت على موقع جامعة الأنبار على الرابط https://www.uoanbar.edu-iq تم الاطلاع عليه بتاريخ 2025/01/10، ص:51.

[4] سترابون: (63 أو 64ق.م –24م)هو عالم جغرافيا وفيلسوف ومؤرخ يوناني عاش في آسيا الصغرى خلال الفترة الانتقالية للجمهورية الرومانية إلى الامبراطورية الرومانية ، ينظر: موقع ويكيبيديا على الرابط: https://ar.m.wikipedia.org تم الاطلاع على الرابط بتاريخ 2025/01/26

الاصل ولد في تركيا وقضى حياته في روما ومصر خاصة الاسكندرية، أعد مؤلفا جغرافيا ضخما في سبعة عشر جزءا مستندا على أعمال سابقة لجغرافيين مثل ايراتوستين.

قدم سترابون أراء جغرافية منها أن البراكين ناتجة عن قوة الرياح الحبيسة داخل الارض كما يرى ان جزر البحر المتوسط تشكلت نتيجة الزلازل والبراكين وهو رأي أكدته الدراسات الحديثة، كما قدم تفسيرا لفيضان النيل حيث يرى ان الأمطار الصيفية في الحبشة هي السبب الرئيسي لهذه الظاهرة، كما أنه يعتبر من أوائل الجغرافيين الذين قاموا بدراسة علمية متعمقة للظواهر الطبيعية. قام بتقديم مساهمات علمية في مجال الجغرافيا من خلال مؤلفه الذي شمل دراسات إقليمية وصفية حول أوروبا، آسيا الصغرى، الهند، فارس، بلاد ما بين النهرين، بلاد العرب.

سترابون ركز على الجوانب الجغرافية مثل الأقاليم المناخية وتنوعها على أساس دوائر العرض، وعلاقة المد والجزر بالقمر، كما قدم خريطة وضع فيها بحر قزوين مفتوحا ووصف جبال البرانس بطريقة غير دقيقة.

كما يعتبر رحالة سافر من أرمينيا إلى إيطاليا وزار بلاد اليونان ومصر وأبحر في النيل حتى أثيوبيا بحيث أن تأثره بكتاب الاغريق أثر على وجهة نظره الفلسفية.

أما بطليموس فيعتبر من العلماء الجغرافيين المشهورين من مواليد مصر ويعتبر جسرا بين الجغرافيا القديمة والحديثة حصل على لقب "أبو الجغرافيا " لتميزه، كانت اسهاماته الجغرافية ثاقبة، حيث أكد على كروية الارض وثباتها في مركز الكون وحركة الاجرام السماوية حولها. هذه الافكار سادت حتى القرن السابع عشر ميلادي.

---

[5] بطليموس: هو كلوديوس بطليموس والمشهور ببطليموس الاسكندرية نسبة إلى مدينة الاسكندرية التي عاش فيها وهو عالم روماني الأصل يعد من أبرز العلماء المفكرين العصور اليونانية الرومانية القديمة نظرا لمساهمته العظيمة في علم الفلك. ينظر: موقع مفكرون على الرابط: https://mufakeroon.com تم الاطلاع على الرابط بتاريخ 2025/01/27

كتابه " الماجسطي " يغطي مواضيع الفلك والخسوف والكسوف وحركة الشمس والقمر، كما قام بإنشاء خريطة جغرافية دقيقة تشمل العالم المعروف من جزر الكناري إلى الصين مستخدما درجات الطول لتحديد المواقع، خريطته كانت الاكثر دقة في زمانه مما يؤكد مكانته كعالم جغرافي رائد.[1]

ج- عند الفينيقيين:

الفينيقيون، المعروفون أيضا بالكنعانيين بحيث تذكر التوراة أن كلمة كنعان تعود إلى كنعان بن حام بن نوح [2] وصلوا إلى المنطقة الشرقية للبحر المتوسط حوالي عام 1600ق.م [3] حيث استقروا على السواحل [4] بين طرطوس شمالا وجبل كرمل جنوبا. كانوا شعبا تجاريا رائدا، وأسسوا خمسين مستعمرة حول البحر المتوسط من أهمها: صور، قبرص، رودس، صقلية، بانت لاريا، سردينيا وقرطاجة (تونس).

دفع الفينيقيون إلى الاستكشاف البحري مجموعة من العوامل الرئيسية، حيث كان موقعهم الجغرافي على البحر المتوسط يتيح لهم فرصة الاستكشاف والاستغلال التجاري، وجود الكتلة الجبلية الشرقية التي أعاقت الاتصالات البرية مع جيرانهم دفعتهم للاعتماد على البحر كوسيلة رئيسية للتواصل والتجارة، وجود خشب الأرز الذي كان المادة الأساسية لصنع السفن كان عاملا مهما في تقدمهم البحري، كما أن موقع بلادهم المحاطة بدول قوية مثل الحيثيون شمالا والفلسطينيون جنوبا والآراميون شرقا دفعتهم لتحسين قدراتهم البحرية لضمان الأمن والاستقرار. [5]

---

[1] عيسى علي ابراهيم، المرجع السابق، ص ص: 40-42.

[2] أحمد عبد الحليم دراز، تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم، دار التعليم الجامعي للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ص: 59.

[3] عيسى علي أبراهيم، المرجع السابق، ص: 24.

[4] أندريه إيمار – جانين أبويه، تاريخ الحضارات العام الشرق واليونان القديمة، عويدات للنشر والطباعة، بيروت – لبنان، ص: 256.

[5] عيسى علي ابراهيم، المرجع السابق، ص: 24.

بناءا على التأثيرات الحضارية العراقية والمصرية، طور الفينيقيون فكرا جغرافيا فريدا، رغم تركيزهم على التجارة والصناعة، اقتبسوا من الحضارة العراقية مفاهيم حول شكل الارض وخلقها، مثل فكرة الكون المحيط والمبدأ المائي كما استفادوا من الحضارة المصرية في مجال معرفة السواحل والظروف البحرية مثل دراسة التيارات والمناخ [1] ساهم الفينيقيون في تأسيس قواعد أولية للتجارة الدولية، مما ساعد في توسيع نطاق المعرفة الجغرافية ولقد تميزوا بروح المبادرة الذي حفز حركتهم البحرية وحددوا نمط حياتهم. [2]

ساهم الفينيقيون في الفكر الجغرافي بشكل مباشر وغير مباشر، ينسب إليهم لفظ "المحيط " كما جابوا البحر الأحمر، ويعتقد أنهم وصلوا إلى شمال غرب الهند ويعتقد أيضا أنهم داروا حول إفريقيا في عهد الملك نخاو وبرعوا في استخدام النجوم في أسفارهم الليلية حيث أسسوا العديد من الموانئ مثل قادوس، قرطاجة.

رغم إنجازاتهم الباهرة يظل تراثهم الجغرافي غير واضح بسبب حرصهم على الحفاظ على أسرار مسالكهم التجارية.[3]

الاجتهاد الجغرافي الفينيقي لعب دورا حيويا في تطوير حضارتهم وتحقيق تقدمهم الاقتصادي والثقافي مما جعلهم روادا في مجال الاستكشاف ورغم التطور المبهر للاجتهاد الجغرافي يلاحظ انخفاض اهتمامهم بالبحث الفلكي فتركيزهم على ركوب البحر وتجارة البحر جعلتهم يركزون على الجوانب التطبيقية للملاحظة الفلكية دون الاستكشاف النظري، هذا التركيز على التطبيقات العملية، جعل الاجتهاد الجغرافي الفينيقي يمتلك طابعا استكشافيا وتجاريا بدلا من كونه بحثا علميا متعمقا. [4]

---

[1] كمال عبد الله حسن، المرجع السابق، ص:41.

[2] صلاح الدين الشامي، المرجع السابق، ص: 92.

[3] عيسى علي ابراهيم، المرجع السابق، ص: 26.

[4] صلاح الدين الشامي، المرجع السابق، ص: 93.

لقد ساعدت رحلات الفينيقيين العديدة في تراكم معارف جغرافية هائلة، مما دفعهم لتوثيق هذه الرحلات في تقارير وخرائط تفصيلية لمناطق الارض التي استكشفوها، هذه الموارد كان من المحتمل أن تكون مصدرا قيما للمعلومات حول الاراضي الجديدة والطرق البحرية، للأسف لم تصلنا هذه الموارد بسبب حرصهم الشديد على سرية مسالكهم التجارية والبحرية مما جعلها مجهولة للعالم حتى اليوم، فهذه السرية المفرطة جعلتهم يحرصون على عدم تسريب أي معلومات قد تؤدي إلى كشف أسرارهم التجارية مما منع العالم من الاستفادة من معارفهم الجغرافية ورغم ذلك لا يزال إرثهم في مجال الاستكشاف والجغرافيا يعتبر إنجازا عظيما. [1]

[1] كمال عبد الله حسن، المرجع السابق، ص: 41.

الفصل الأول

ملامح النهضة العلمية في الغرب الاسلامي

1. السياق التاريخي للغرب الاسلامي.
2. تطور العلوم في الغرب الاسلامي.
3. الحواضر العلمية في الغرب الاسلامي.

شهد الغرب الاسلامي نهضة علمية خاصة في الرياضيات والفلك والطب، بدأت مع الفتح الاسلامي وتعمقت في العهد الاموي بالأندلس كما تميزت الحواضر العلمية كقرطبة وطليطلة وفاس وتلمسان والقيروان باستقطاب العلماء وتوفير الكتب والمؤسسات التعليمية مع دعم الحكام الأمويين والموحدين. وهذا ما سنستعرضه في هذا الفصل من خلال العناصر التالية:

- السياق التاريخي للغرب الاسلامي.
- تطور العلوم في الغرب الاسلامي.
- الحواضر العلمية في الغرب الاسلامي.

1- السياق التاريخي للغرب الإسلامي:

أ- الفتح الإسلامي لبلاد المغرب:

كانت بلاد المغرب[1]قبل الفتح الإسلامي تحت الحكم البيزنطي[2]، وبذلك كانت أولى اهتمامات المسلمين تدور حول فكرة فتحهم لبلاد المغرب. فبدأوا بالعديد من المدن المغربية وأولها برقة[3]، وكان ذلك على يد عمرو بن العاص الذي اتجه نحوها بعد أن فتح مصر وصالح أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار يؤدونها إليه جزية على أن يبيعوا من أحبوا من أبنائهم في جزيتهم[4]، واستسلم أهلها دون قتال ومقاومة وبعدها مباشرة تجاوز عمرو مدينة برقة إلى طرابلس، وذلك بعد قتال وحصار دام شهرا تمكن من فتحها والاستلاء عليها بالإضافة الى فدان ووزان وزويلة كخطوة تمهيدية للدخول إلى افريقية، ثم رجع إلى مصر بعد أن ترك عقبة بن نافع ببرقة يدعوا للإسلام. وكل هذه الحملات التي قام بها عمرو بن العاص كانت تمهيدية واستطلاعية [5].

بعد عزل الخليفة عثمان بن عفان لعمرو بن العاص عن مصر، ولى مكانه عبد الله بن سعد وقد سار الأخير على سياسة سلفه واستأذن الخليفة في فتح افريقية ووافق على ذلك بعد عقد اجتماع في هذا الخصوص ووجدوا أن الوقت ملائم جدا لاستكمال عملية الفتح وبذلك توجه عبد الله بن سعد بجيش قوامه عشرين ألف وسمى هذا الجيش بالعبادلة وانظم إليهم عقبة بن نافع بحامية برقة وواجهوا جرجيرا الذي كان قد كوّن جيشا من البربر والروم وكان قد اتخذ مدينة

---

[1] **بلاد المغرب**: المراد به هو كل ما يقابل المشرق من البلاد وقد اختلف الجغرافيون والمؤرخون المسلمون في تحديد مدلوله فجعله البعض يشمل بلاد افريقية بالإضافة الى الاندلس والبعض الاخر اعتبره عرض بلاد المغرب. ينظر: عصام عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ص: 12.

[2] حسن خضيري احمد، صفحات من تاريخ المغرب الاسلامي، مكتبة المتنبي، ط1، 1426هـ-2005م، ص: 32.

[3] **برقة**: كانت آنذاك آشية بولاية بربية مستقلة عن الدولة البيزنطية وكان يسكنها بطون من قبيلة لواتة البترية وهي اكبر قبائل البربر شأنا وأشدها بأسا. ينظر: السيد عبد العزيز، تاريخ المغرب الكبير، ج2، ص ص: 3-14 .

[4] عبد الرحمن ابن عبد الحكم، فتوح افريقية، تح: عبد الله أنيس الطباع، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت،1964م، ص: 29 .

[5] حسن خضيري احمد، المرجع السابق، ص ص: 33-35.

سبيطلة عاصمة له وقد التقى الجيشان فيها وانتصر المسلمون في هذه المعركة وقتل جرجير واستولوا على المدينة، وبهذا قد فتح الطريق أمام المسلمين، وبعد ذلك قرّر ابن سعد العودة إلى مصر دون تركه الحامية في افريقية واكتفى بفرض جزية على اهلها قدرها(20000 دينار). وبعدها انشغل المسلمون بأحداث الفتنة الكبرى التي نجمت عن مقتل الخليفة عثمان بن عفان ولم يكفوا الفتح إلّا بعد استقرار الأمر لمعاوية بن ابي سفيان فأرسل ابن خديج إلى الروم فوجد الروم قد نزلوا فيها فقام ابن خديج بالاستيلاء على المراكز الرومية القوية ثم توجه الى صقلية بأسطوله البحري ومضى غربا وفتح تيزرت وجزيرة جربة. بعد مرحلة الاهتمام بالفتح وتمثل المرحلة الثانية جاءت مرحلة الاستقرار ودور الفتح وكان ذلك بتولي عقبة بن نافع الفهري قيادة الجيوش الإسلامية.

في المغرب فتح غدامس ودخل إفريقية واتجه إلى سبيطلة وقام باختطاط عاصمة ومركز عسكري للمسلمين وهي مدينة القيروان وبهذا يمكن القول أن المدينة بنيت وفق معطيات اسلامية، استمر بناءها أربع سنوات وأصبحت مركزا تخرج منه الغزوات، وقاعدة عسكرية للمسلمين، وأصبحت منبعا للدين يلجأ إليها البربر لاعتناق الإسلام ودراسة تعاليمه على أيدي العلماء والفقهاء وبعد ذلك عزل عقبة من طرف الخليفة ولّى بعده أبو المهاجر دينار وقد استطاع أن يقود عدة حملات ناجحة وأن يجتاح المغربين الادنى والاوسط حتى وصل إلى تلمسان[1].

استمرت ولايته في افريقية سبع سنوات حقق فيها مالم يحققه قائد قبله، ووصلت فتوحه إلى مشارف المغرب الأقصى. وبعد وفاة معاوية بن ابي سفيان سنة (60هـ/680م) عزل أبو المهاجر دينار وولي بعده للمرة الثانية عقبة بن نافع على إفريقية، لما تولى الخلافة يزيد بن معاوية سنة (61هـ/680م) خرب معسكر ابي المهاجر وعمد عقبة الى تعذيب كُسيلة صديق ابو المهاجر وعامله معاملة العبيد وجلب لنفسه عداوة البربر البرانس، وبذلك تغيرت سياسة الفتح الاسلامي بعد رجوع عقبة بن نافع، قام بحملة كبرى ووصل إلى المحيط الاطلسي وبعدها اتخذ من تاهودة قاعدة إسلامية على غرار القيروان بعد أن سلك طريقا وعرا وصعبا ودارت بينه وبين جيش كسيلة

[1] حسن خضيري احمد، المرجع السابق، ص:43-44

معركة حامية لوطيس وقطعوا عليه خط الرجعة واستشهد فيها عقبة وتولى بعده الامور زهير بن قيس البلوي قام بالقضاء على كُسيلة والكثير من البربر. وبعد مقاومته للروم بجيش قوامه سبعين رجلا من خيرة رجاله وكانت الغلبة للروم من الامر الطبيعي واستشهد فيها زهير بن القيس، بعد هذه المرحلة من الفتح جاءت مرحلة بعدها وهي مرحلة اتمام فتح المغرب والقضاء على مقاومة الروم والبربر وذلك بتعيين الخليفة عبد الملك بن مروان للقائد حسان بن النعمان فخرج بجيش قوامه اربعين الف رجل مزود بأسطول بحري وبنى خطة على تحطيم قوّة الروم وضرب التحالف الاستراتيجي بينهم وبين البربر واتجه بعد ذلك إلى قرطاجة[1] وقاتل الروم حتى افتتحها واستطاع الاستيلاء عليها بجهد كبير منه، وعندئذ اشتغل حسان بمحاربة التي تدعى الكاهنة، استغل الروم هذه الفرصة وعاد إلى قرطاجة وبعد معرفته بذلك عاد إليها ليساندها بأسطول اسلامي قدم من الشام ومصر استولى على قرطاجة وخرّبها تماما وقطع عنها القناة التي كانت تمدها بالماء، وفرّت بقايا الروم إلى صقلية وجزر البحر ولم يرى الروم بعد ذلك قرطاجة إذ كان القضاء عليهم في هذه المرّة تاما ونهائيا وبذلك تم تحرير افريقية والمغرب[2].

ب- فتح الاندلس: كان فتح الاندلس[3] في سنة اثنتين وتسعين من الهجرة أي في عصر الدولة الأموية فلمّا اكمل موسى بن النصير عملية فتح المغرب جاءته رسالة من لوليان يطلب منه أن يشاركه في فتح اسبانيا والرّاجح أنه لم يقصد ان يساعده في ذلك بل وإنما كان يريد التخلص من رودريك، فلما وصلت رسالة إلى موسى بن النّصير وجد الفرصة سامحة لتوسيع ملك الإسلام فيما وراء البحر واتّفقا على غزو إسبانيا بعد مقابلة دارت بينهما، ولما اقتنع

---

[1] **قرطاجة:** مدينة عظيمة تضرب أمواج البحر سورها وهي من مدينة تونس على اثنتي عشر ميلا. ينظر: ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في تلخيص اخبار المغرب، ج:1، ليدن، 1828م، ص: 19.

[2] حسن خضيري احمد، المرجع السابق، ص ص: 47-54.

[3] **الاندلس:** انها جزيرة مركنة ذات ثلاثة اركان غربية من شكل المثلث الركن الواحد منها ضم قادس والثاني ضم جليقية وهو مقابل لجزيرة قرطاجة والثالث ناحية الشرق بين مدينة أربونة ومدينة برذيل. ينظر: ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في تلخيص اخبار المغرب والاندلس، ج: 2، مكتبة صادر، بيروت، ص: 1.

موسى بهذه الفكرة أرسل رسالة الى الوليد بن الملك يستأذنه في فتح اسبانيا، فكتب له الوليد بأنّ يخبره فعهد موسى الى جنده وهو طريف بن مالك وامره بشن الغارة على ساحل اسبانيا الجنوبي فعبر طريق المضيق في مائة فارس وأربعمائة رجل ونزلوا واغاروا على المناطق التي تليها الجزيرة، أتت بعد ذلك هذه الحملة الاستطلاعية صدق يوليان حيث شجعت هذه الحملة موسى بن النّصير على إعداد جيش كبير لفتح اسبانيا وكان من العرب والبربر يبلغ عدده سبعة ألاف مقاتل وجعل طارق بن زياد قائدا عليه فعبروا المضيق ونزلوا بالمنطقة الصخرية التي لاتزال تحمل اسمه وهو مضيق جبل طارق وتمكن من اختراق بلاد الجزيرة بفضل ارشادات يوليان واستولى على قلاعها وهزم قائدها القوطي تدمير، ولما ادرك ولاة هذه المناطق خطر الزحف الإسلامي أرسلوا إلى رود ريك يطلبون مساعدته فعاد إلى طليطلة وأعاد تنظيم قواته، أعدّ القوط جيشا قوامه مائة ألف مقاتل وتسعون ألفا، فلما علم طارق بضخامة الجيش القوطي استنجد بموسى فأمدّه بخمسة آلاف جندي، وانضم إليهم يوليان، دارت بينهم معركة في وادي لكّه استمرت ايّام ثم نشبت المعركة الحاسمة التي انتهت في اليوم السابع من بدأ القتال وانتصر فيها الجيش الإسلامي وقتل فيها الملك القوطي وبهذا فقد سقطت المدن الاسبانية في أيدي المسلمين، زحف طارق بن زياد إلى طليطلة وأرسل الرومي مولى الوليد بن عبد الملك إلى قرطبة وهدم اسوارها واقحمها دون مشقة وأرسل حملات إلى البيرة وغرناطة، وكان المسلمون يضعون في كل مدينة يفتحونها حامية لحمايتها، ثم زحفوا إلى تدمير لكن حاكمها قاومهم ولم يستطيعوا فتحها، وبعد فتحهم لمدينة طليطلة كانت مقاومة القوط قد اعتراها الوهن والضّعف وتعب المسلمون من الجهد الذي بذلوه وأثقلتهم الغنائم وكان الشّتاء قد اقترب فأمر موسى بن النّصير طارق بن زياد بوقف حملة الفتح، وأيضا فقد طلب منه الحذر حتى يلحق به لدراسة الموقف وتحديد امكانية مواصلة الفتح، وبعدها فقد عبر موسى مضيق جبل طارق ومعه عشرة آلاف مقاتل من العرب وثمانية آلاف من البربر في سفن صنعها خصيصا لهذا العمل يحفزه شرف الاشتراك في هذا العمل وبدأ يزحف للاستيلاء على

مدينة شذونة ثم قرمونة،[1] واستولى عليها وفتح اشبيلية بعد حصار دام شهرا وبعدها ماردة والتقى طارق على مقربة من طليطلة واشتركا سويا على حملة الفتح فيما تبقى من الاندلس، واخترق ولاية اراجون واستولى على سرقسطة و وشقة وماردة وهكذا انتهى كل من موسى وطارق فتوحاتهما، وأمرهما الوليد بن عبد الملك بالرّجوع إلى دمشق ورجعا بعد ان خلفه ابنه عبد العزيز بن موسى في الاندلس سنة (94هـ/714م)، وفتح بعده ابنه الجزء الشرقي من الجزيرة وبذلك تم فتح شبه الجزيرة الاسبانية كلّها إلّا الجزء الشمالي الغربي الذي سمي جليقية فكانت هذه البقعة التي تركها العرب لبردها ووعرتها نواة للدولة المسيحية الاسبانية التي مازالت تنموا وتترعرع حتى طردت العرب والاندلس بعد ثمانية قرون وهكذا فتحت الاندلس في اربع سنوات من(91-95هـ)[2].

ت- عوامل ازدهار الحضارة العربية الاسلامية:

ازدهرت الحضارة العربية الإسلامية بفضل عوامل متعددة، في مقدمتها حث الدين الإسلامي على طلب العلم والمعرفة، الأمر الذي أطلق حركة ترجمة وتأليف واسعة النطاق. كما ساهم التنوع الثقافي والعرقي الذي احتضنته الدولة الإسلامية في تبادل ثري للأفكار والمعارف. أضف إلى ذلك دعم الخلفاء والعلماء للحركة العلمية وتأسيسهم للمكتبات ودور الحكمة، مما خلق بيئة حاضنة للإبداع والابتكار في مجالات متنوعة كالطب والرياضيات والفلك والفلسفة. ويمكن تلخيص العوامل الأساسية لازدهار الحضارة العربية الإسلامية في النقاط التالية:

- اعتناق شعوب الخلافة الإسلامية الإسلام، مما ساهم في توحيد أفكارهم بعد تخلصهم من آثار ديانتهم السابقة وقد أسهم ذلك في تعزيز تفاعل المسلمين مع أنفسهم ومع مجتمعاتهم فضلا عن مواجهة التحديات الحياتية بروح المسلم المثقف فكريا واجتماعيا.

[1] عصام عبد الرؤوف الفقي، المرجع السابق، ص ص: 36-40.

[2] المرجع نفسه، ص: 41.

- التعريب، والمقصود بذلك أن تكون اللغة العربية اللغة الرسمية للدولة، فما دام الناس توحدوا في فكرهم الديني فعليهم التوحد في لغة الدين، لذا فقد اصبحت دواوين الدولة تدون أعمالها وتراسل المسؤولين في سائر مرافق الدولة باللغة العربية حتى أن المراسلات خارج حدود الدولة الاسلامية كانت باللغة العربية، واصبحت شعوب الدول التي تم فتحها يميلون الى تعلم اللغة العربية ممّا دفعهم إلى اكتساب مهاراتهم. وقد تولى ديوان الإفتاء مهمة الكتابة إلى الخلفاء والأمراء وسائر مؤسسات الدولة. وقد تميز على رأس هذه الدواوين رجال بارعون في الأدب والكتابة وهو ما يعرف بالكتابة الديوانية.
- التنافس العلمي بين الخلافات الإسلامية، فمن مآثر العرب وحكامهم أنهم كانوا يشجعون على العلم ويكرمون العلماء ويقربونهم إلى مجالسهم.
- التراث الحضاري للأمم السابقة والمعاصرة اطلع المسلمون على حضارات الأمم الاخرى، حيث لم يكن العالم العربي الاسلامي معزولا عن باقي الحضارات، بل كان لديه اطلاع واسع على العلوم والآداب التي انتجتها شعوب مثل اليونان والرومان والفرس والهند [1].
- الازدهار الاقتصادي والاستقرار السياسي، احتوت الدولة الاسلامية على مساحات شاسعة غنية بالموارد الاقتصادية والثروات الطبيعية، حيث كانت الزراعة والصناعة والتجارة في صميم اهتمام الخلفاء الراشدين[2].

[1] فخري خليل النجار، تاريخ الحضارات العربية الاسلامية، دار الصفاء للنشر والتوزيع، ط:1، عمان، 1432هـ/2011م، ص ص: 159-160.

[2] نبيل موسى الجبالي، الحضارة الاسلامية أهدافها مظاهرها انتشارها، مكتبة المجتمع العربي، ط:1، عمان، الاردن، 1433هـ/2012م، ص: 457.

ث- التفاعل الحضاري بين الحضارات:

ث1- الحضارة الهندية:

تعرف العرب على الهند قديما من خلال التجارة حيث استوردوا العديد من منتجاتها، وقد أثرت الحضارة[1] الهندية بشكل مباشر على الحضارة الاسلامية بعد الفتح الذي أقدم عليه محمد بن القاسم الثقفي وقد تجلى تأثيرها في المجالات التالية:

- المقالات الدينية والرياضيات والحساب والنجوم والأدب، فالهنود كانت لهم فلسفة ترتبط ارتباطا وثيقا بالدين، وقد تأثرت بعض المعتقدات الهندية بالتوجهات الإسلامية المتطرفة، مثل فكرة السبأية والتناسخ التي تتواجد في الفكر الهندي[2].
- التعرف على بعض علوم الفلك مثل حركات الكواكب والنجوم وحساباتها وحركات الرّياح.
- شهدت اللغة العربية دخول بعض الالفاظ الهندية مثل الزنجبيل والكافور، بالإضافة الى التعرف على بعض الأعمال الأدبية الهندية، مثل قصة السندباد، كما اطلع العرب على الحكم الهندية التي تركت اثرا في تشكيل الامثال العربية [3].

ث2- الحضارة الفارسية:

بدأ الفتح الإسلامي في بلاد الرافدين بعد انتصار المسلمين في المعركة القادسية، ممّا أدى إلى دخول العراق وبلاد فارس تحت الحكم الإسلامي وقد تميزت هذه الفترة باختلاط العرب المسلمين مع الفرس بشكل أكبر من غيرهم، ومن الفرس من اعتنقوا الدين الإسلامي وأظهروا التزاما به، لكنهم ظلوا متمسكين بأفكارهم الفارسية، يشار إلى هذا الاتجاه الذي يعبر عن حنينهم إلى

---

[1] **الحضارة**: في اللغة: معناها حضور وفي الاصطلاح كل ما يرتبط بحياة الاستقرار عن الانسان من نظم سياسية واقتصادية واجتماعية وفكرية. ينظر: كتاب الحضارة الاسلامية لمحمد محاسنة، ص: 15.

[2] حكمت عبد الكريم فرحات- ابراهيم ياسين الخطيب، مدخل الى تاريخ الحضارة العربية الاسلامية، ط:1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان،1989م، ص: 64.

[3] فخري خليل النجار، المرجع السابق، ص: 164.

ماضيهم ومعتقداتهم بالشعوبية. وقد ابدى العديد من الفرس حماسة كبيرة للغة العربية وأبدعوا فيها ومن أبرز هؤلاء العلماء: ابن جرير الطبري[1]، البخاري، مسلم، ابن قتيبة والخوارزمي.

ومن أهم الأعمال التي تمت ترجمتها من الفارسية إلى العربية: هزار اقسانة، توقيعات كسرى، كليلة ودمنة [2]. لقد ادخلت بعض العادات والقيم والسلوكيات والمفاهيم الفارسية إلى المجتمع الاسلامي حيث كان مجال التلاقي والتأثر الحضاري بارزا في الجوانب التالية:

أولا: المجال الأدبي:

- تداخل وترجمة الآداب الفارسية الى الآداب العربية.
- دخول ألفاظ فارسية الى العربية.
- دخول بعض أنواع المأكل والملبس.
- ظهور الشعر الديني.

ثانيا: المجال الديني:

- وجود بعض المذاهب الفارسية من مانوية وزرادنشية ومردكية.[3]

ث3- الثقافة اليهودية والنصرانية:

توسعت اليهودية والنصرانية في بعض مناطق الدولة الإسلامية حيث أبدع اتباعها في مجالات الصيرفة والصياغة. وقد تميز هذا الاحتكاك مع المسلمين بتبادل ثقافي أثرى كل الطرفين. مما ساهم في تسرب بعض العناصر الثقافية الخاصة بهم إلى المجتمع الإسلامي. وكان لليهود ثقافة أدبية ودينية وتاريخية استمدت من التوراة كما أنها مزجت بالثقافة اليونانية وقد دخل بعض اليهود في

---

[1] **الطبري**: إمام مفتي مكة ومحدثها، ابو عبد الله الحسين بن علي بن الحسين الطبري الشافعي ولد بأمل سنة عشرة واربع مئة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج: 19، ط:1، مؤسسة الرسالة، 140هـ/1984م، ص: 203.

[2] خليل النجار، المرجع السابق، ص: 168.

[3] المرجع نفسه، ص ص: 162-.163

الاسلام وتظاهر البعض الآخر بذلك، تأثر المسلمون بثقافة اليهود، حيث استمدت بعض القصص الاسرائيلية التي تقترب من الخرافات أكثر مما تقترب من الحقائق خصوصا في تفسير القرآن، وقد عرفت هذه الروايات بالإسرائيليات، ولم تسلم منها مجالات الحديث والتاريخ الإسلامي أيضا وهكذا كان الحال ذاته في النصرانية، حيث تضمن القرآن الكريم مواقف متعددة مستمدة من الإنجيل وقد قام المفسرون بنقل شروحات لهذه المواقف مع بعض المسلمين الذين انتموا ظاهريا للنصرانية وابتدعوا أحاديث نسبت إلى النبي صل الله عليه وسلم، بالإضافة الى ذلك نشأت مناظرات وجدل بين المسلمين والمسيحيين ممّا استدعى على كل طرف الاطلاع على كتب الطرف الآخر والرد عليها[1].

2- تطور العلوم في الغرب الاسلامي:

شهد الغرب الإسلامي ازدهارًا علميًا ملحوظًا، حيث تفاعل العلماء مع التراث اليوناني واللاتيني، وأضافوا إليه إسهاماتهم الأصيلة. يمكن تصنيف هذا التطور إلى قسمين رئيسيين العلوم العقلية التي اعتمدت على التأمل والاستدلال العقلي، وشملت الجغرافيا والفلسفة والمنطق والرياضيات والفلك والطب. ومن أبرز أعلامها في الغرب الإسلامي ابن باجة وابن طفيل وابن رشد. أما العلوم النقلية فاستندت إلى النصوص والروايات المنقولة، وتضمنت علوم القرآن والحديث والفقه والتاريخ والأدب واللغة. وقد برز في هذا المجال علماء كبار أسهموا في حفظ وتدوين ونشر هذه العلوم. وقد شكل هذان النوعان من العلوم رافدًا هامًا للحضارة الإسلامية وأثرا لاحقًا النهضة الأوروبية.

أولا: العلوم النقلية:

هي التي ترتبط بالدين، بينما تعود جذور العلوم إلى ما قبل الاسلام، إذ وجدت منذ فجر التاريخ وكانت نتاج تجارب إنسانية لذلك، انتشرت حركات الترجمة في مختلف البلدان، وبلغت

[1] حكمت عبد الكريم فرحات-ابراهيم ياسين الخطيب، المرجع السابق، ص ص: 64-65.

ذروتها في العصر الإسلامي، حيث تم نقل العلوم اليونانية والفارسية والرومانية إلى العربية مما أسهم في ازدهار المعرفة.[1]

أ- القرآن الكريم والتفسير:

أ-1 القرآن الكريم: هو المصدر الأساسي للتشريع في الإسلام[2]ويقال للقرآن فرقان[3]، هو الكتاب الذي اختتم الله به الكتب السماوية، وأنزله على النبي الذي ختم به الأنبياء، بدين شامل وأبدي اختتم به من الاديان [4] وقد دوِن في المصحف ونُقل بالتواتر بين الأمة.[5]

أ-2 التفسير: يعني التوضيح والبيان، فنقول: فسرت الشيء (بالتخفيف) وفسّرته تفسيرا (بالتشديد)، أي أوضحته، أما الفرق بين التفسير والتأويل، فالتفسير يُعنى ببيان المراد من اللفظ، في حين أن التأويل يركز على توضيح المعنى المقصود[6] هو توضيح الشيء واظهاره بعد أن كان غامضا أو خفيا[7] قوله عز وجل "وأحسن تفسيرا" [8].

- **عند الرستميين:**

كان للرستميين اهتمام كبير بمعرفة القرآن، وهو ما اتفقت عليه الدولة كما اتفق عليه السلف. وتشير المصادر التاريخية إلى أن حملة القرآن من الفقهاء والمجتهدين، كانوا في مقدمة العلماء، فمؤسس الدولة عبد الرحمان بن رستم كان عالما متمكنا في الفقه، ويقال أنه

---

[1] لعربي بلال، تاريخ العلوم في الغرب الاسلامي، مطبوعة بيداغوجية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة البليدة 2 لونيسي علي، 2021/2020م، ص: 36.

[2] عمر سليمان الاشقر، تاريخ الفقه الاسلامي، ط: 3، دار النفاس، الاردن، 1412هـ-1991م، ص: 52.

[3] محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تح: فواز احمد رمرلي، ج:1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1415-1995م، ص: 17

[4] المصدر نفسه، ص: 12.

[5] عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، ج:1، دار الفكر للطباعة والنشر، 1431هـ-2001م، ص: 551.

[6] لخضر عبدلي، العلوم الدينية بتلمسان خلال عهد بني زيان، مجلة القرطاس، ع:1، 2012م، ص:93.

[7] علي بن محمد الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ط:1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، 1423هـ/2002م، ص: 29.

[8] ابن منظور، لسان العرب، م:5، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1956م/1375هـ، ص: 55.

ألف تفسيرا للقرآن الكريم لكنه لم يكن متاحا نظرا لفقدانه، إذ يعتقد أنه احترق في حادثة مكتبة المعصومة، ولم يعثر على أي نسخ منه بين محفوظات الإباضية.[1]

ومن بين الذين أرسوا قواعد التعليم الإجباري أثناء فترة الدولة كان الشيخ عبد الوهاب، وهو أحد أبرز علماء الإباضية في زمانه، يحكى أنه عند وفاته ورثت عائلته كتبه المستنسخة من المشرق وتفرغ لدراستها فوجد أن كل ما تحتويه محفوظ في ذاكرته، باستثناء مسألتين فقط لم يسبق أن طرحتا عليه ليفكر فيهما بالقياس، وله مؤلف في الفقه يعرف بـ **"مسائل نفوسة"** أو **"توازن نفوسة"**، يتضمن إجابات على مسائل فقهية متعددة جاءت ردًا على استفسارات طلابه.

ومن بين العلماء البارزين في هذا الباب يبرز اسم محمد بن يانس الدركلي النفوسي المعروف بابن ابي المنيب الذي عاش بين عامي (200-250هـ) يعد من اشهر مفسري نفوسة، وكان قد تبنى مذهب المعتزلة بعد مناظرتهم ويروى عنه قوله: **"أما انا فقد اخذت تفسير القرآن كله من الثقات، وتعلمت منهم ألا أزيد فيه حرفا أو أنقص، فإن اضطررت اجتهدت في اختيار أنسب المخارج"**

ومن العلماء الآخرين محكم الهواري (208-258هـ) الذي استقى منه الامام افلح علمه، له كتاب قيم في التفسير مقسم إلى أربعة أجزاء بعنوان **"تفسير كتاب الله العزيز"**، ومن بين مفسري عصره أيضا عبد الله بن محمد بن عبد الله بن ابي الشيخ (ت بعد300هـ) والذي كان يعتبر من كبار الفقهاء في زمانه، جامعا بين التقوى والعلم الواسع.

كما اشتهر ابن غانم الخرساني بمدونته، التي تعد مصدرا هاما لدى المالكية، إلى جانب كتاب **"مطوّس"** للفقيه ما طوس بن هارون، وانتشرت أيضا بعض الكتب الإباضية مثل

[1] تيرس نوح، جهود علماء المغرب الأوسط في تطور العلوم النقلية من ظهور الرستميين الى نهاية الزيانيين (160-962هـ/177-1554م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الاسلامي الوسيط، قسم العلوم الانسانية جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 1439-1440هـ/2018-2019م، ص: 106 .

كتاب **"تشارق الدين"** للوالي بن حم التوزري الذي ركز فيه على تفسير القرآن مع تقديم شروحات موسعة للآيات والسور.[1]

- **عند الفاطميين:**

تميز الشيعة الفاطميون باتباع نهج مختلف عن جمهور المسلمين في تفسير القرآن الكريم، حيث لم تكن لهم كتب تفسير مستقلة أو جامعة، بل فسروا النصوص القرآنية بما يتماشى مع عقيدتهم وتوجهاتهم الفكرية، كانوا يفسرون الآيات أو السور وفقا لما يخدم احتياجاتهم، سواء في نشر الدعوة لمذهبهم أو في تأصيل فكرة أحقية أهل البيت بالإمامة وقد ارتكز تفسيرهم على تأويلات باطنية تتجاوز المعاني الظاهرة للنصوص القرآنية، مما اضفى على تأريخهم في التفسير طابعا فريدا ومثيرا للجدل.

ومن بين الشخصيات البارزة التي اشتهرت بهذا النهج كان القاضي النعمان الذي يعد من أبرز فقهاء الفاطميين وعلمائهم، حيث جمع بين المعرفة بأصول الفقه وعلوم الدين والنقل، وكان له أثر واسع في بلورة الفكر الفاطمي وتفسيره للنصوص الشرعية وقد ألف العديد من الكتب التي تناولت الاختلافات الفقهية، ومن أبرز مؤلفاته كتاب ضخم أعده لأهل البيت، مدونا بأفضل الخطوط وأجود أنواع الورق، مما يعكس مكانته العلمية واهمية مؤلفاته في عصره.

لم يقتصر دور القاضي النعمان على التأليف بل ينظر إليه أيضا كمنظر رئيسي للمذهب الشيعي الفاطمي، خاصة بعد تولي الخلفاء الفاطميين الحكم. كان له دور بارز في ترسيخ العقيدة الفاطمية من خلال الشرح والتفسير وإيضاح حقيقة المعتقدات الاسماعيلية للعامة، كما تولى مهمة الإشراف على مجموعة من الدعاة المدربين، الذين كانوا يعقدون الحلقات الدينية في المساجد، لإلقاء الدروس بعد صلاة العصر، وتقديم الارشاد الديني والرد على تساؤلات الناس حول مختلف

[1] تيرس نوح، المرجع السابق، ص ص: 106-107.

المسائل الفقهية والعقائدية ومن بين كتبه المهمة تلك التي تناولت تفسير القرآن من منظور فاطمي مما جعله مرجعا أساسيا في هذا المجال[1].

- **عند الزيانيين:**

في عهد بني زيان، ازدهرت تلمسان وأصبحت من أبرز مدن المغرب بعد القيروان وتونس وفاس ومراكش. اتسعت رقعتها حتى قاربت في حجمها مدينة فاس، وتميزت بكثرة مبانيها ومساجدها مما جعلها تستوفي شروط الحضارة العمرانية وبفضل هذا التطور، أصبحت مركزا يجذب مختلف فئات المجتمع، من العلماء وأصحاب الحرف والفنون مما جعلها بيئة خصبة لازدهار العلوم. وقد شهدت هذه الحقبة ولادة العديد من الأعمال الفكرية العميقة والأصلية.

ومن بين العلوم التي نالت اهتمام علماء الدولة الزيانية برزت علوم القراءات والتفسير، حيث ظهر فيها العديد من الفقهاء والعلماء المتعمقين في علوم النحو والحديث والفقه وعلوم الكلام، وعلى الرغم من سعة علومهم فقد ركزوا جهودهم على علوم القرآن، نظرا لأهميتها ومكانتها. وكما أشار ابن مريم، فإن تفسير القرآن يعد من أصعب المهام. إذ قال: "**إن تفسير القرآن من أصعب الأمور، فلا يقدم عليه جريء مضيفا**".

اتبع علماء الدولة ذات النهج في اتقان علم القراءات وفروعه، مما في ذلك فن رسم حروف القرآن في المصحف الشريف. وقد برزت في هذا المجال أسماء لامعة، منهم من عمل في التدريس بالمدارس التي أسسها سلاطين الدولة، ومنهم من مارس التعليم في بيوتهم أو في دكاكينهم.

ومن بين هؤلاء العلماء، يبرز اسم الامام الفقيه الفهامة محمد بن ابراهيم الآبلي التلمساني(681-757هـ) الذي جمع بين علوم المنقول والمعقول، وتبحر في شتى العلوم،

[1] تيرس نوح، المرجع السابق، ص: 108.

عرف برحلاته العلمية، فنهل من مختلف المعارف ثم عاد إلى بلاده لينقل ما اكتسبه من علم، ورغم معارضته للتقليد والتدوين، فإن علمه أثرى العديد من أبناء المغرب، حيث كان من أبرز تلامذته الفقيه أبو عبد الله بن عرفة، الذي أشاد بفضله عليه وذكره كثيرا. كما كان من بين طلابه عبد الرحمن ابن خلدون[1] الذي تتلمذ على يديه واستفاد من علمه في عدة مجالات.

ومن بين العلماء الذين سطع نجمهم أيضا، الفقيه أحمد بن زاغو المغراوي (ت 845هـ) الذي تتلمذ على يد كبار العلماء وكرس حياته للتدريس في المدرسة الياقوتية بتلمسان، حيث نهل منه الكثير من طلاب العلم، لاسيما في مجالات التفسير، الحديث، الفقه، الأصول، العربية، الحساب، وغيرها من العلوم الشرعية واللغوية [2].

ب- علم الحديث:

يستخدم مصطلح "**الحديث**" في الأصل للدلالة على ما هو جديد مقابل القديم، كما يطلق على القليل والكثير من الأخبار نظرا لكونها تتجدد وتتطور بمرور الوقت [3] ولعلم الحديث تعريفان:

ب-1 التعريف الأول (بالرواية): يعني هذا العلم ينقل أقوال وأفعال النبي صل الله عليه وسلم ورصد أحواله ويشمل توثيق هذه الأقوال وضبطها وتحرير ألفاظها.

ب- 2 التعريف الثاني (بالدراية): يهتم هذا العلم بدراسة ماهية الرواية، وشروطها وأحوال الرواة وأحكام الروايات وتصنيفاتها وكل ما يرتبط بها[4].

---

[1] **ابن خلدون**: ولد ابن خلدون في تونس عام732هـ الموافقة لسنة 1332م لأسرة أندلسية كانت نزحت الى افريقية في القرن السابع الهجري، يرجع اصل ابن خلدون للعرب اليمانية في حضرموت ويرجع نسبه لوائل بن حجر وفق رواية ابن حزم. ينظر: موقع ويكيبيديا على الرابط: https://ar.m.wikipedia.org، تم الاطلاع على الرابط بتاريخ 2025/03/18.

[2] تيرس نوح، المرجع السابق، ص ص: 113-114

[3] الحافظ جلال الدين السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تح: ابو قتيبة نظر محمد الفاريابي، ج:1، ط:1، مكتبة الكوثر، مصر، رمضان 1414هـ، ص: 29

- **عند الرستميين:**

افتقرت المصادر والدراسات التاريخية التي تناولت تاريخ الرستميين إلى تسليط الضوء على الجانب العلمي، حيث لم تقدم إشارات أو توثيقات كافية حول تطور العلوم الحديثة في دولتهم التي استندت في بداياتها الى علم الحديث والتدوين.

ركزت الدراسات الفقهية وعلوم الحديث على ترسيخها، مستندة إلى نهج العلماء المجتهدين السابقين. كان عبد الرحمن بن رستم من بين رواد العلم الذين تلقوا معارفهم على أيدي كبار علماء المذهب في البصرة، حيث كانت تلك المدينة مركزا علميا بارزا قبل ان تصبح القيروان منبعا للعلوم في الغرب الاسلامي، ومع توليه شؤون الإمامة، حملت مؤلفاته تأثيرات واضحة من كتب البصرة، التي تضمنت رؤى علماء المشرق وموافقتهم لاسيما فيما يتعلق بكتب الحديث والفقه الخاصة بالمذهب. [1]

وقد أكد الإمام افلح بن عبد الوهاب هذا المنهج حينما شدد على أهمية الرجوع إلى مصادر المذهب الشرقية، مشيرا إلى كتاب ابي سفيان بوصفه دليلا على ذلك. كما يعكس هذا التوجه انشغال الإمام بعلوم الحديث وحرصه على الاستناد إليها وهو ما دعمه شيوخ المذهب في المشرق والمغرب، إذ كان لهذا المذهب حضور بارز بين علماء الإباضية وتردد صداه في مختلف المناطق الاسلامية، اشتهر الإمام بتأليفه كتاب **"أبواب من السنة"** وهو مخطوط لا يزال محفوظ في بعض الخزائن الخاصة، حيث يتناول تعريفان لمصطلح السنة، الى جانب مباحث في الفقه الإباضي، وقد أشار اليه بعض العلماء في لقاءاتهم ومراسلاتهم[2].

---

[4] عبد اللطيف محمد عامر، علوم السنة وعلوم الحديث (دراسة تاريخية- حديثة- اصولية)، ط:1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1421هـ-2000م، ص: 115

[1] تيرس نوح، المرجع السابق، ص ص: 115-116

[2] المرجع نفسه، ص: 116

- **عند الفاطميين:**

منذ تأسيس دولتهم، سعى الفاطميون إلى وضع أسس فكرية جديدة تستند إلى الولاء المطلق لآل البيت والتقاليد الشرعية الخاصة بعقيدتهم وقد انعكس هذا المنهج في مؤلفاتهم ومصنفاتهم، التي ازدحمت بالمفاهيم الداعمة لهذا التوجه، مع تأكيدهم على ضرورة الالتزام بشروط محددة في تدوين الحديث ونقله.

اعتبرت الولاية أحد أركان الدين، واستندوا في ذلك إلى العديد من الأحاديث النبوية التي تؤكد أحقية علي بن ابي طالب في الخلافة بدلا من ابي بكر الصديق نتيجة لذلك ارتبطت علوم الحديث بالمذهب الشيعي، وعندما أسسوا دولتهم في بلاد المغرب الإسلامي، أصبحت مجالس الوعظ والتذكير ودروس الفقه والحديث موجهة بشكل كامل لترسيخ هذا المنهج، الذي ركز على مكانة الائمة والدعاة وتأثيرهم في مختلف المناطق.

انقسمت التوجهات الدينية آنذاك الى مدرستين: المالكية التي كانت راسخة في أنحاء المغرب والشيعة التي دعمها علماء ودعاة الفاطميين ورغم ذلك لم يتقبل علماء المالكية هذا التوجه الجديد، متمسكين بمرجعيتهم التقليدية مما أدى إلى نشوب صراع ديني شديد في المنطقة. ومع استيلاء الفاطميين على الحكم، ازدادت هيمنة الفكر الشيعي بفضل قوة الدعاة وكثرتهم، واستخدمت موارد الدولة لدعم هذا التوجه ورغم أن هذا الوضع أدى إلى اضطرابات سياسية، إلا أنه انعكس ايجابيا على الجانب العلمي، كما أشار الى ذلك القاضي النعمان في كتاباته [1].

- **عند الزيانيين:**

شهد العصر الذهبي للدولة الزيانية ازدهارا علميا بارزا، حيث برزت العلوم الشرعية واللغوية في مقدمة المجالات المزدهرة. كان الفقه المالكي يحظى بمكانة متميزة. واعتمد

[1] المرجع السابق، ص: 117-118

حكام الدولة على العلماء والفقهاء في إدارة شؤون الحكم، مما عزز مكانة العلماء وجعلهم جزءا أساسيا من المنظومة الحاكمة.

عملت الدولة على بناء المؤسسات العلمية، وكان أشهرها "دار العلم" التي أصبحت مركزا لتدريس العلوم الاسلامية واستقطاب العلماء والمفكرين، وكما يروى عن انس بن مالك قوله: "**طلب العلم عبادة**" فإن الدولة الزيانية جعلت من نشر المعرفة والاستفادة منها هدفا استراتيجيا فاهتمت بتعليم الفقه وتفسير القرآن وعلوم القرآن.

اسند الحكام مناصب قضائية وإدارية إلى العلماء خاصة الفقهاء المالكيين الذين كانوا يشرفون على تطبيق الاحكام الشرعية وحماية المبادئ الإسلامية، كان من أبرز هؤلاء القاضي ابو بكر بن العربي، الذي ساهم في إثراء الفكر الفقهي والشرعي بمؤلفاته المتعددة.

توسع النشاط العلمي ليشمل علوما أخرى مثل المنطق والفلسفة والتاريخ، مما أدى إلى تكوين بيئة ثقافية غنية ومزدهرة ، كما شجعت الدولة بناء المدارس العلمية، حيث درس فيها طلاب من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وكان تركيزها الأكبر على نشر العلم الشرعي وتعليم أصول الفقه المالكي، مما جعلها مركزا للعلماء وطلاب المعرفة[1].

ثانيا: العلوم العقلية:

تعتمد العلوم العقلية على التجربة والملاحظة والفرضية، حيث قد تكون نتائج التجربة صحيحة نسبيا او خاطئة، فإذا كانت صحيحة فإنها تطرح اشكاليات تبنى عليها فرضيات وقوانين، أما إذا كانت خاطئة، فإنها تشكل نقطة انطلاق لبحث جديد[2].

[1] تيرس نوح، المرجع السابق، ص: 125.

[2] لعربي بلال، المرجع السابق، ص: 36.

أ- اللغة وفن الموشحات:

علم اللغة هو دراسة نقل الالفاظ التي تعبر عن المعاني المفردة وضبط استخدامها[1] يقال: **"اللغة هي الثروة الحقيقية للكاتب"**[2].

- **عند الرستميين:**

مع نهاية القرن الثاني الهجري، شهد المغرب الإسلامي تحولا سياسيا كبيرا تمثل في قيام الدول المستقلة وانهيار السلطة المركزية. ورغم أصوله الفارسية تلقى عبد الرحمن بن رستم تكوينا علميا ودينيا رفيعا جعله مؤسسا لأحد أبرز المراكز التعليمية والفكرية في الغرب الإسلامي، حيث نشأت في القيروان بيئة علمية مزدهرة كانت منارة العلم والمعرفة.

برزت في هذه البيئة العلمية الداعية سلمة بن سعد، الذي تم اختياره ليكون رسولا للمذهب الإباضي وحامل لوائه فتلقى أصول هذا المذهب في البصرة على يد كبار العلماء، وكان من أبرز أساتذته الإمام الثاني للمذهب الإباضي، أبو عبيدة مسلم بن ابي كريمة، وبعد أن أتم دراسته وقع عليه الاختيار مع مجموعة من زملائه ليكونوا حملة العلم، حيث توزعوا في أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي، فاستقر بعضهم في المغرب، بينما اتجه آخرون إلى اليمن. ومع تأسيس الدولة الرستمية سعى أئمتها إلى بناء دولة قائمة على أسس علمية وشرعية قوية ما أدى إلى ازدهار العلوم وانتشار المعرفة، حيث احتلت علوم اللغة مكانة بارزة في هذه النهضة الفكرية.[3]

---

[1] ابن الأكفاني، ارشاد القاصد الى اسنى المقاصد في انواع العلوم، تح و تع: عبد المنعم محمد عامر، مر: احمد حلمي عبد الرحمن، دار الفكر العربي، القاهرة، ص: 111.

[2] أبي العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشى، ج:1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1340هـ/1922م، ص: 150.

[3] تيرس نوح، المرجع السابق، ص: 145

- **عند الفاطميين:**

تزامن تأسيس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب مع نهضة فكرية واسعة وازدهارا علميا كبيرا شمل مختلف المجالات. فقد تأثرت البلاد بحركة علمية نشطة امتدت من الشرق إلى الغرب الإسلامي، ما أسهم في انتشار العلوم المختلفة بما في ذلك الشعر والنثر. وعلى الرغم من اختلاف الأساليب والأنماط الأدبية، إلا أن اللغة العربية ظلت عنصرا أساسيا في التعبير الفكري والثقافي، خلال تلك الفترة شهدت الحركة الفكرية نشاطا واسعا حيث سافر العديد من طلاب العلم والعلماء إلى المشرق للاستفادة من معارف علمائه، فعادوا محملين بالمؤلفات والكتب التي ساهمت في إثراء المعرفة. وقد برزت في هذه المرحلة أسماء لامعة في مجالات اللغة والنحو، والبلاغة، والتاريخ، والجغرافيا، والفقه وغيرها من العلوم.

وقد أنشئت هذه المؤسسات العلمية تحت إشراف نخبة من العلماء والفقهاء، ما جعلها مركزا للعلم والاستفادة، ومن بين الأسماء اللامعة في هذا المجال الطبيب عمران بن اسحاق البغدادي، الذي عمل في التدريس حتى وفاته عام(1264هـ) بالإضافة إلى الطبيب الإسرائيلي إسحاق بن سليمان الإسرائيلي الذي ازدهر في عهد زيادة الله الثالث (ت292هـ) وكذلك يوسف بن يعقوب بن يوسف المعروف ببراعته في الرياضيات.

أما في ميدان الأدب واللغة والشعر، فقد شهدت هذه الفترة ازدهارا ملحوظا، حيث تنوعت الألقاب الادبية وتعددت المدارس الشعرية [1].

- **عند الزيانيين:** يمكننا القول أن الدولة الزيانية تميزت بتنوعها في العديد من المجالات، حيث جمعت بين علوم مختلفة ومعارف واسعة، ما جعلها واحدة من أبرز الحواضر العلمية والسياسية في العالم الإسلامي وقد استقطبت نخبة من العلماء والفقهاء المتميزين الذين أسهموا في نهضتها العلمية والتعليمية.

[1] تيرس نوح، المرجع السابق، ص ص: 145-148-149

ومن بين العلوم التي برع فيها الزيانيون كانت اللغة والنحو، والتي تعتبر مفتاحا للعلوم الأخرى فقط اهتموا بدراسة الكتب الأساسية وحفظها وكان كتاب أحمد بن الخليل الفاهيدي بمثابة المنارة والدليل في بلاد المغرب، كما تبعته كتب سيبويه التي صقلت صناعة النحو وأكملت أبوابها.[1]

اعتمد علماء النحو على هذه الكتب في التدوين والتأليف، مما ساهم في تطوير وتأصيل هذا العلم وقد شهدت صناعة النحو انتشارا واسعا في سوق العلوم خلال عصر الزيانيين حيث أولوها عناية ورعاية خاصة وتولى تدريسها عدد كبير من العلماء والفقهاء والمتصوفة الذين برعوا فيها. حيث كانت تلمسان مقصدا للعلم والعلماء[2].

يعد فن الموشحات فنا أندلسيا خالصا نشأ وترعرع في ربوعها حيث تغنى به الخلفاء والأمراء في مجالسهم وأسمارهم، مما يعكس مستوى التطور الحضاري الذي شهدته الاندلس في ظل الحكم الإسلامي ويتميز هذا الفن بكونه نوعا من الشعر غير المقيد بأوزان وقافية الشعر العربي التقليدي، بل هو مزيج يجمع بين الشعر والغناء، ويعتمد على التنقل السريع داخل القصيدة الواحدة بين الوزن والقافية مع استعراض موسيقي متناغم، كما يتميز بتنوعه في العروض دون التقيد ببحر واحد أو قافية ثابتة، مما يجعله كلاما منظوما وفق نسق خاص وغالبا ما تتألف الموشحات من عدة أقسام تختلف حسب مستوى الشاعر وتمكنه من الشعر واللغة العربية حيث تبرز فيها قدرته على التلحين والغناء في آن واحد [3]

ب- **التدوين التاريخي: التاريخ** هو علم يعنى بدراسة أحداث الزمن من حيث تعيينها وتوقيتها بل يتجاوز ذلك إلى البحث في كل ما شاهدته البشرية عبر العصور، حيث يتمحور موضوعه حول الإنسان والزمان،[4] والتأريخ هو تحديد الزمن وتوثيق الأحداث.[5]

---

[1] تيرس نوح، المرجع السابق، ص: 157

[2] المرجع نفسه، ص: 158

[3] المرجع نفسه ص: 186.

[4] السيوطي، المصدر السابق، ص: 19.

- **عند الرستميين:**

ازدهرت حركة التدوين التاريخي خلال عهد الدولة الرستمية حيث بدأت بالاهتمام بمعرفة الأنساب، إذ برز العديد ممن كان لهم إلمام واسع بهذا المجال، ويعد أقدم مؤرخ رستمي معروف هو لواب بن سلام بن عمرو، الذي استقر في تاهرت سنة (240هـ/854م)، ألف كتاب **"شرائع الدين"**، حيث تناول فيه سيرة الخلفاء الراشدين وأئمة الإباضية الأوائل في المغرب كما تطرق إلى معركة "صفين" كما وثق في كتابه تاريخ دخول الإسلام إلى جبل "نفوسة" وسجل أخبار الأئمة الرستميين وقد اعتمد في معلوماته على ابي صالح النفوسي الذي التقى به في توزر بتونس.[1]

- **عند الفاطميين:**

من خلال تتبع بعض المؤلفات التاريخية في العصر الفاطمي، يتضح أن الفاطميين بذلوا جهودا كبيرة لتوظيف التاريخ لخدمة مشروعهم الدعوي حتى أصبحت لديهم مدرسة اسماعيلية متكاملة الأسس والبنية. وقد حملوا معهم منذ البداية فكرة الترويج لحق أهل البيت في الخلافة، فاستخدموا في أدبياتهم ورواياتهم العديد من الأخبار والأحاديث النبوية التي تؤكد هذا الحق، وكأن التاريخ كان أحد ادواتهم التي استخدموها كسلاح في مواجهة أعدائهم والمشككين في أصولهم ومن بين الشخصيات البارزة في هذا المجال خلال العهد الفاطمي في بلاد المغرب كان ابو علي الحسن بن عبد الرحمن بن عبيد البصري، صاحب كتاب **"الكتاب المعرب عن اخبار افريقية والمغز"**، والذي يعتبر من المصادر الموثوقة التي استفاد منها العديد من مؤرخي طبقات العلماء واللغويين والنحاة. كما كان للطبيب ابو جعفر احمد بن ابراهيم ابي الخالد القيرواني اسهامات في مجال

---

[5] ابن منظور، لسان العرب، م:3، نشر ادب الحوزة، ايران، محرم 1405هـ، ص: 4.

[1] محمد عليلي، الإشعاع الفكري في عهد الاغالبة والرستميين خلال القرنين 2-3هـ/8 -9م، مذكرة نيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الوسيط، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة ابي بكر بلقايد- تلمسان-، 1428-1429هـ/ 2007-2008م، ص: 103.

التاريخ، حيث ألف كتاب **"أخبار الدولة"** الذي يعتبر مفقودا الآن، وكتابه الثاني **"التعريف"** الذي تناول فيه مفهومه الخاص للتاريخ وطرق كتابته كما ذكر فيه بعض الأخبار المتعلقة بالمهدي. [1]

- **عند الزيانيين:**

حرص السلاطين الزيانيين على دعم العلوم النقلية والعقلية، وجعلوا من عاصمتهم مركزا للعلماء والفقهاء والأدباء حيث برزت فيها العديد من البيوتات العلمية التي اشتهرت بتكريس جهودها لخدمة المعرفة ونشرها. وقد شهدت تلمسان نهضة علمية كبيرة، حيث ازدهرت فيها الرحلات العلمية مما أدى إلى تحقيق فوائد عظيمة، كما ازدهرت الحركة العلمية في عهدهم وامتلأت المكتبات بالمؤلفات، وتدفقت عليها موجات العلماء وأرباب الصناعات الفكرية، مما ساهم في تدريس العلوم والمعارف في معاهدها وإلقاء الدروس في مساجدها كما نشطت حلقات العلم في مجالسها مما جعلها تعرف بريادتها في هذا المجال، وهكذا أصبحت العلوم رمزا للسيادة، فيما تحولت بلاد المغرب إلى مستودع للمعرفة لا ينضب عطاؤه ومن بين العلوم التي حظيت باهتمام واسع في التاريخ كانت العلوم المرتبطة بالموروث الفكري والمجتمعي، حيث كانت موضع اهتمام جميع فئات المجتمع وطبقاته وقد انعكس ذلك على انتشار كتابات تناولت السير والمناقب، وقد لعب السلاطين دورا بارزا في دعم حركة التدوين والتأليف إذ حرصوا على تشجيع المهتمين بالعلم والاستفادة من خبراتهم في هذا المجال، معتبرين ذلك وسيلة لإبراز تفوقهم وعظمتهم [2]

ت– الجغرافيا:

خلال القرن العاشر بدأت الجغرافيا الإقليمية تأخذ طريقها إلى المغرب، ويرجح أن **محمد بن يوسف الوراق (ت 363هـ/973م)** الذي عاش في القيروان وقرطبة، كان من أوائل من كتب عن المغرب، فقد خصص مؤلفا لوصف هذه المنطقة بعنوان **"المسالك والممالك"**، إلا أن هذا

[1] تيرس نوح، المرجع السابق، ص: 208

[2] المرجع نفسه، ص ص: 215 -216

الكتاب لم يصل الينا [1]وإنما ورد ذكره في ما نقله البكري، كما يعد **احمد بن محمد الرازي (ت 344هـ/955م)** من اوائل من أدخل منهج الجغرافيا الإقليمية في الاندلس وبعد البكري جاء كتاب **"المغرب في ذكر بلاد المغرب"** الذي يعد من أغنى المصادر الجغرافية عن المغرب وأكثرها تفصيلا، وقد ألف هذا الكتاب بعد عدة عقود من البكري حيث كتب سنة (461هـ/ 1086م) رغم ان مؤلفه غير معروف.[2]

ث– علم الفلك: يمكننا في البداية الإشارة إلى أن العرب في الماضي تجنبوا الاهتمام بعلم الفلك، حيث اعتبروه مشابها للتنجيم المحرم، مما جعلهم ينظرون إليه بحذر وربما يعود ذلك إلى ارتباطه ببعض المعتقدات الغيبية، وهو ما جعل الكثير من المثقفين لا يولونه اهتماما كبيرا قبل أن يدركوا اهميته لاحقا.

ورأى البعض أن اهتمام العلماء المسلمين بهذا المجال لم يكن عبثا بل جاء نتيجة وعيهم العميق بأثره في مجالات متعددة، مثل الملاحة والطقس وتقويم الزمن، كما أن الفلك لم يكن مجرد علم غيبي بل كان يعتمد على منهجية عقلية دقيقة ولهذا السبب، ارتبط بعلم الفلسفة والثقافة، وكان للعرب إسهامات كبيرة متفوقين بها وعلى الرغم من أن بعض المصادر التاريخية تذكر عدم اهتمام المغاربة بعلم الفلك إلا أن هناك دلائل تشير إلى وجود بعض الإسهامات في هذا المجال.[3]

ج– علم الطب: هو العلم الذي يهتم بدراسة جسم الإنسان، وما يؤثر عليه سواء كان نافعا للحفاظ على الصحة أو ضارا يؤدي إلى المرض كما يسعى لإزالة الأمراض وعلاجها. [4]

---

[1] مسعود كربوع، مجموعة محاضرات نشرت على موقع جامعة بسكرة على الموقع:-https://elearning.univ-biskra.dz، تم الاطلاع عليه بتاريخ: 2025/03/13، ص: 77

[2] تيرس نوح، المرجع السابق، ص: 77

[3] المرجع نفسه، ص ص: 87-88

[4] ابن الأكفاني، المصدر السابق، ص: 171

فالمصادر والمراجع التاريخية لا تقدم سوى القليل من المعلومات حول الطب والأطباء في الدولة الرستمية، ولكن يمكن استنتاج بعض التفاصيل من خلال تحليلها ونظرا لأهمية هذه المهنة في أي مجتمع فمن المؤكد أن الرستميين اهتموا بها إدراكا لقيمتها، ويشير ابن خلدون الى أن الطب كان ضرورة في المدن والمناطق الحضرية، إذ لم يكن هناك مجتمع يخلوا منه نظرا لدوره في حفظ الصحة وعلاج الأمراض، كما ذكر أن غالبية من مارسوا مهنة الطب كانوا من اليهود والمسيحيين، وخصوصا اليهود، نظرا لاشتغالهم بالتجارة والصيرفة، ومن المعروف أن عددا كبيرا من المسيحيين واليهود استقروا في تاهرت حيث كانوا يملكون دور عبادة، وأقام المسيحيون فيها كنيسة.

تشير هذه الدلائل إلى وجود أطباء وممارسين للطب في الدولة الرستمية سواء من أهلها إو من الوافدين ومن بينهم كان محمد بن سعيد، الذي تعلم الطب وكان يمارسه رغم كونه مقيما في الاندلس.[1]

حـ- علم الصيدلة: انتشر علم الصيدلة في المغرب والاندلس و ازدهر نتيجة تطور الحياة في المنطقة وارتباط صناعة الأدوية بالتجارة والأسواق وقد وجدت بعض الصيدليات التي كان يملكها الأطباء بالإضافة إلى أسواق مختصة مثل سوق العطارين في تلمسان حيث كان الاطباء والحكماء يبيعون الادوية من منازلهم أو في الأسواق ويتم صرفها للمرضى مقابل وصفات طبية.

ومن العوامل التي ساهمت في تطور علم الصيدلة وصناعة الأدوية في المغرب والاندلس توفر بيئة غنية بالأعشاب الطبية المتنوعة، التي استخدمت في تركيب الأدوية، مثل شجرة الحضض. [2]

[1] محمد عليلي، المرجع السابق، ص: 107

[2] مسعود كربوع، المرجع السابق، ص: 83

3- الحواضر العلمية في الغرب الاسلامي:

أ- في المغرب الأوسط:

أ-1 بجاية: مدينة صلداي الرومانية أو بجاية الإسلامية[1] (أنظر الشكل 1) هي مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب كان أول من اختطها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلكين، كانت قديما ميناء فقط ثم بنيت مدينة[2] وهي مدينة حصينة برية بحرية، موضوعة في أسفل جبل وعر، مقطوعة بنهر وبحر[3]وهي معلقة من جبل وقد دخل في بحر يسمى ميسون وعليها سور عظيم ولها داران لصناعة المراكب وإنشاء السفن[4]. وفيها جوامع كافية ومدارس يكثر فيها الطلبة وأساتذة الفقه والعلوم بالإضافة إلى زوايا المتصوفة وحمامات وفنادق.[5]

أ-2 تلمسان: كانت في القديم تحمل اسم قيصرية، عندما كانت خاضعة للرومان،[6]عرفت ازدهارا ثقافيا ملحوظا ونهضة أدبية كبيرة لم يسبق لها أن عرفتها من قبل والحجة في ذلك كثرة العلماء وإنتاجهم الفكري الضخم في هذه الفترة، وقد وصف الباحثون هذه النهضة بنعوت كثيرة منها الازدهار الثقافي، والنشاط العلمي، والحركة الفكرية، والنبوغ الادبي، وغيرها من الأوصاف العامة، لعل المكانة الرائدة التي كانت تتمتع بها مدينة تلمسان (أنظر الشكل 1) ترجع بالدرجة الأولى إلى النزعة العلمية والثقافية التي كان يتميز بها أمراء وسلاطين بني زيان الذين كانت لهم ارادة

---

[1] البشير بوقاعدة، خراب المدن بالمغرب الاوسط بين 296هـ/209م- 547هـ/1115م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المشرق والمغرب الاسلامي، بوزريعة الجزائر، 2012م-2013م، ص: 91

[2] ياقوت الحموي، معجم البلدان، م:1، دار صادر بيروت، 1397هـ-1977م، ص: 339

[3] محمد العبدري البلنسي، الرحلة المغربية، منشورات بونة للبحوث والدراسات، ط:1، الجزائر، 1428هـ-2007م، ص: 49

[4] مؤلف مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الامصار، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985م، ص ص: 129-130

[5] حسن الوزان الفاسي، وصف افريقيا، ج: 2، دار الغرب الاسلامي، ط: 2، بيروت، لبنان، 1983م، ص: 50

[6] المصدر نفسه، ص: 07

قوية ورغبة شديدة وجهود مستمرة امتازوا بها في ميدان الحركة الفكرية بصفة عامة.[1] استفاد أهل تلمسان مما كانوا يحملونه من علم وفكر وحضارة، حيث ظهرت المدارس وانتشرت عبر أحياء المدينة ومما يظهر اهتمام أهل تلمسان بالعلم هو رحلاتهم التي كانوا يشدونها في سبيل ذلك من بينهم آل المقري وآل الشريف التلمساني وآل التنسي وغيرهم [2]

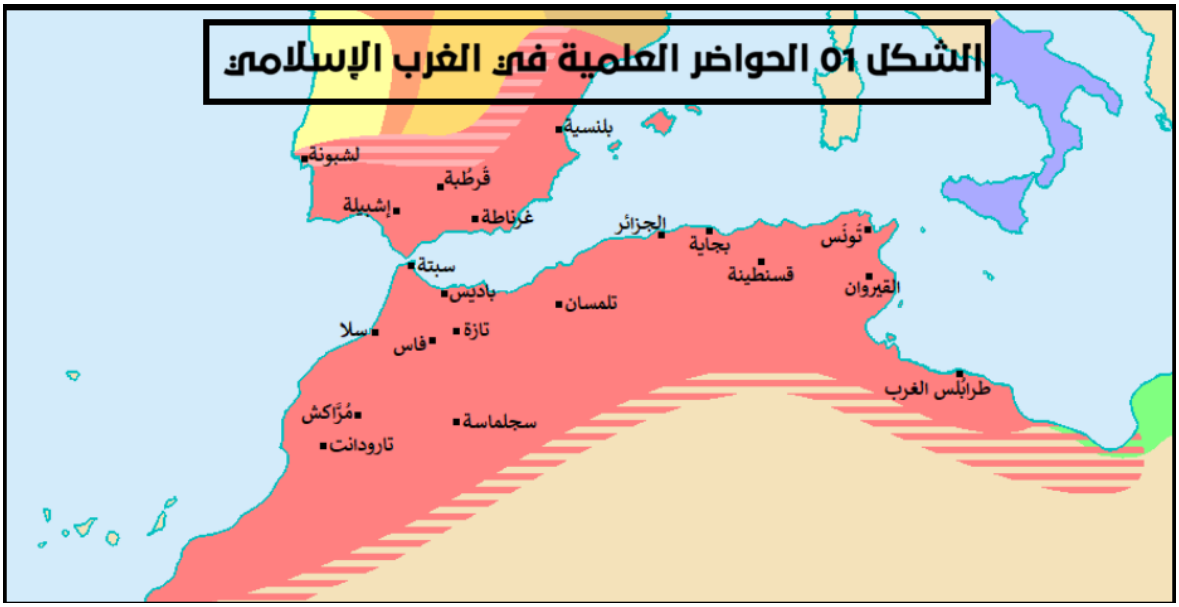

ب- في المغرب الأدنى:

ب-1 القيروان: تعد القيروان أول مدينة اسلامية أنشئها عقبة بن نافع ببلاد المغرب بالضبط في المغرب الأدنى[3](أنظر الشكل 1)، تعد من أهم المراكز الثقافية التي قامت بالمغرب الاسلامي بما أنها من أوائل المدن، وإن كانت في بدايتها ذات طابع عسكري لكنها تحولت فيما بعد إلى مركز ثقافي كبير كما ازدهرت بها العلوم الاسلامية، وتخرج منها العديد من علماء إفريقية واستقر بها العديد من الفقهاء، وكثر الإقبال على التعليم ولمعت بها عدة علوم كالعلوم الدينية واللغة والنحو، لقد شهدت القيروان نقلة نوعية على عهد الأغالبة الذين أولوا عناية فائقة بمختلف

[1] عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني دراسة سياسية- عمرانية- اجتماعية- ثقافية، ج:1، موفم للنشر، الجزائر، 2002م، ص: 317

[2] المرجع نفسه، ص ص: 324-327

[3] البشير بوقاعدة، المرجع السابق، ص: 62

العلوم وأثروا الحياة العلمية، من أبرز علمائها عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوطي الملقب بسحنون وأسد بن الفرات وبن كريب المعافري.

ب-2 تونس: تعتبر ثاني قاعدة بالمغرب الادنى بعد القيروان وهي مدينة أزلية[1]كانت تسمى ترشيش أسسها حسان بن النعمان[2] حيث سعى منذ بداية فتوحاته إلى نشر الإسلام وإرساء دعائمه فبوصوله إليها قام بنشره بين مختلف القبائل البربرية وذلك عن طريق توزيع الفقهاء والعلماء في مختلف المناطق لتعليم تعاليم الاسلام وقواعد اللغة العربية وقد استطاع أن يحول حسان هذه المنطقة من قرية صغيرة إلى مدينة كبيرة اشتهرت بمينائها، من أهم علمائها خالد بن ابي عمران التجيبي، وزيد بن بشر، ومسعود بن أشرس، وعيسى بن محمد بن احمد الغبريني[3].

ت- في المغرب الاقصى:

- **ت-1 فاس:** يعود تأسيس هذه المدينة العتيقة إلى القرن الثاني الهجري، التاسع ميلادي أسسها ادريس بن عبد الله على الضفة اليمنى لنهر فاس بالمغرب الاقصى، تشكلت هذه المدينة من ثلاثة أحياء، أولها حي القرويين الذي شكلته العائلات القروية الوافدة على المدينة، وثانيها الحي الاندلسي المشكل نتيجة هجرة الاندلسيين إليها، أما الحي الثالث فكان يضم الجالية اليهودية وعرف بحي الملاح، ولما وصل ادريس الثاني شدة الحكم عقب وفاة ابيه، أسس المدينة الثانية على الضفة الأخرى من النهر لتظل المدينة منقسمة إلى أن وجدها يوسف بن تاشفين المرابطي فصارت قاعدة حربية ومركزا دينيا وعلميا، خاصة بعد تأسيس جامع القرويين الذي أصبح محجا للطلاب من كل الأصقاع[4] والذي يعد أقدم جامعة ما تزال قائمة في العالم مما جعل من فاس

[1] مصطفى باديس اوكيل، نشأة وتطور الحواضر بالمغرب الأدنى ما بين القرن الاول الى القرن الرابع هجري، مجلة عصور الجديدة، ع:11-12،1434هـ-1435هـ/ 2013-2014م، ص ص: 115-116

[2] ابي عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، دار الكتاب الاسلامين القاهرة، ص: 37

[3] مصطفى باديس اوكيل، المرجع السابق، ص: 118

[4] قاسمي بختاوي، شذرات من تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط، دار الكتاب المعاصر، ص: 12

مركزا للإشعاع الفكري والثقافي والفني إذ بقيت وفية لذكرى مؤسسيها الأوائل الذين أرادوها دار علم وفقه.

ت-2 مراكش: يجمع المؤرخون على أن يوسف بن تاشفين هو من اختط مدينة مراكش بعد ان غادر الأمير ابو بكر بن عمر أرض المغرب إلى الصحراء وتخلى ليوسف عن الإمارة وقد استغرق البناء خمس سنوات، أصبحت مدينة مراكش بعد فترة وجيزة من بنائها في بداية النصف الثاني من القرن الخامس الهجري مركزا هاما من مراكز الثقافة في بلاد المغرب الاقصى في عهد دولة المرابطين والموحدين وعهد بني مرين ويرجع الفضل في اعتلائها هذا المكان إلى كونها العاصمة السياسية والإدارية للبلاد فكانت محط أنظار العلماء والأدباء وقد أسهم ولاة الأمر بقدم كبير في هذه النهضة بفضل تشجيعهم للعلم والعلماء. فيوسف بن تاشفين كانت قد بهرته حضارة الاندلس بعد عبوره إليها وتأثر بها إلى حد بعيد فشجع علمائها وأدباءها للحضور إلى مراكش للإنتفاع بهم في هذه المدينة[1] وفي هذا السياق يشير المراكشي إلى المكان الذي وصلت إليه في هذا العصر بقوله: **"فانقطع الى امير المسلمين من الجزيرة من اهل كل علم فحوله حتى اشبهت حضرته حضرة بني العباس في صدر دولتهم"**[2]

ث- في الاندلس:

ث-1 قرطبة: هي قاعدة الاندلس وأم مدائنها ومستقر خلافة الامويين بها وآثارهم بها ظاهرة، وفضائل قرطبة ومناقب خلفائها أشهر من أن تذكر وهم أعلام البلاد وأعيان الناس وطيب المكسب وحسن الزي وعلو الهمة وجميل الأخلاق وكان فيها أعلام العلماء وسادات الفضلاء[3]، بدأ نجمها في الصعود كمدينة حضارية عالمية في عهد عبد الرحمن الناصر وبعده ابنه الحكم

[1] سليم محمد الشريري- عبد الله سالم بازينة، نشأة المدن الاسلامية من خلال مدن المغرب الاقصى فاس- سبتة- مراكش- الرباط، مجلة البحوث الاكاديمية، ع:17، جامعة مصراته، 2021م، ص ص: 233-238

[2] عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص اخبار المغرب، مطبعة الاستقامة، ط:1، القاهرة، 1368هـ-1949م، ص: 163

[3] محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار، تح: احسان عباس، مطابع هيدارغ، ط:1، ط:2، بيروت، 1974م-1975م، ص: 456

المستنصر، بلغت قرطبة أوج ازدهارها وقمة ريادتها وحضارتها، خاصة أنه اتخذها عاصمة لدولته الفتية ومقرا له كخليفة للمسلمين في العالم الغربي وقد جعل منها منبرا للعلوم والثقافة والمدنية، وقد شمل اهتمام الأمويين بقرطبة اهتمامهم كذلك بنواحي الحياة المختلفة فيها من زراعة وصناعة وبناء الحصون ودور الأسلحة وغيرها[1] حيث يقول عنها ابو الحسن بن بسام في قوله: **"كانت منتهى الغاية، ومركز الراية، وأم القرى، وقرارة أهل الفضل والتُقى، ووطن أولي العلم والنهى، وقلب الإقليم وينبوع متفجر للعلوم، وقبة الإسلام وحضرة الإمام ودار صوب العقول، وبستان ثمرة الخواطر، ويعد دور القرائح، ومن أفقها طالعت نجوم الأرض وأعلام العصر وفرسان النظم والنثر وبها انشئت التأليفات الرائعة وصنفت التصنيفات الفائقة...."**[2]

ث-2 طليطلة: هي مدينة كثيرة المستعربين المسيحيين في الاندلس[3]، كانت في عهد المأمون مزيجا من التراث الشرقي والغربي والإسلامي والمسيحي وقد ازدهرت هذه المدينة ازدهارا قويا في عهده نتيجة للعلاقات الحضارية التي نشأت فيها[4]، وصلت هذه المدينة في حقول العلم إلى درجة الريادة لما كان عليه علماءها من شغف بالعلم وصبر على مشاقه ويظهر ذلك في رحلاتهم العلمية وأماكن تعلمهم وكتبهم ومكتباتهم ولها مراكزها العلمية تواجدت في مكتباتها ودور علمائها ومساجدها وخاصة جامع طليطلة الذي يعد منارة للعلم بشتى حقوله العلمية سواء العلوم الشرعية او العلوم الأخرى، كان لعلمائها اهتمام بالكتب سواء العلوم الشرعية وعلوم اللغة

---

[1] راغب السرجاني، قصة الاندلس من الفتح الى السقوط، ج:1، مؤسسة اقرا للنشر والتوزيع، ط:1، القاهرة، 1432هـ-2011م، ص ص: 208-310

[2] ابو الحسان بسام، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، ج:1، تح: احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1417هـ-1997م، ص:318

[3] محمد ابراهيم القيوصي، تاريخ الفلسفة الاسلامية في المغرب والاندلس، دار الجيل، ط:1، 1417هـ-1997م، ص ص: 24-23

[4] حسان حلاق، دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية، دار النهضة العربية، ط:1-2، بيروت، 1409هـ-1989م، ص ص: 330-331

وكذا العلوم الإنسانية كالتاريخ والجغرافيا حيث أنها لم تكن مستقلة بذاتها بل منظمة لعلم التاريخ، ظهر بها فن الجغرافيا الفكرية.[1]

[1] ابراهيم بن عطية الله بن هلال السلمي، تاريخ مدينة طليطلة في العصر الاسلامي دراسة تاريخية حضارية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاسلامي، 92هـ-478هـ، المملكة العربية السعودية، ص ص:181-210

الفصل الثاني:

تطور علم الجغرافيا عند المسلمين في المشرق الإسلامي:

1- اهتمام المسلمون بالجغرافيا وجهودهم فيها.
2- دور العرب وإسهامهم في الفكر الجغرافي.
3- أبرز علماء الجغرافيا في العصر الإسلامي.

أدرك المسلمون أهمية علم الجغرافيا، حيث أولوا اهتماما بالغا لهذا العلم، نظرا لحاجتهم الملحة له، فلم يقتصر إسهامات العديد من العلماء الجغرافيين العرب والمسلمين الذين عاشوا في فترات زمنية متفاوتة على مجالات محددة، بل امتدت لتشمل مجالات متنوعة، حيث قاموا بنقد أعمال من سبقوهم وأضافوا ملاحظات، وكان من أهم الموضوعات التي تناولتها مصنفاتهم في هذا الحقل الجغرافيا الفلكية بالإضافة إلى دراسة البحار والمحيطات واكتشفوا ما يعرف بخطوط الطول ودوائر العرض وغيرها من مجالات الجغرافيا الأخرى وهذا ما سنتطرق إليه في هذا الفصل من خلال العناصر التالية:

- اهتمام المسلمون بالجغرافيا وجهودهم فيها.
- دور العرب وإسهامهم في الفكر الجغرافي.
- أبرز علماء الجغرافيا في العصر الإسلامي.

1- اهتمام المسلمون بالجغرافيا وجهودهم فيها:

أ- أسباب اهتمام المسلمين بالجغرافيا:

- القرآن الكريم فيه إلحاح على النظّر في السماوات والأفلاك والكواكب، وحث على السير في الأرض واستكشافها وإعمارها.
- حديث الإسلام عن السفر والسياحة في الأرض.
- الفتوحات الإسلامية ونتائجها، فقد كان من الضروري أن يتعرف المسلمون بشكل دقيق على الأراضي التي يعزمون التوجه إليها، ومع الفتوحات التي تحققت ازدادت أهمية هذه المعرفة لتكون شاملة وموثوقة وذلك لأغراض إدارة المناطق وجمع الأموال وتحصيل الضرائب وإرسال العمال، وإقامة الصلوات وتحديد مواقع الحاويات وتنظيم مواسم التجارة وتأمين طرقها.
- تعتبر فريضة الحج واجبا على كل مسلم يستطيع السفر إلى مكة وقد أسهمت هذه الفريضة في تطوير المعرفة الجغرافية لدى المسلمين على المستويين العلمي والعملي فقد أصبح الحج وسيلة ضرورية لأداء عبادة عظيمة، تعد واحدة من الأركان الأساسية الخمسة في الإسلام.
- انتشار مفهوم الرحلة في طلب العلم وقد تجلى هذا المفهوم بأفضل صورة لدى أهل الحديث النبوي، رغم أن العديد من العلماء في مجالات الدين والأدب واللّغة وعلوم الطبيعة قد تبنوا هذا المفهوم أيضا.[1]
- اطّلاع العرب على المعلومات والمعارف الجغرافية التي كانت متاحة لدى الأمم الأخرى، مثل اليونان، واستفادوا من بعض تلك المعارف، ومع ذلك لم يقتصر الأمر على مجرد الاقتباس بل لاحظوا العديد من المغالطات والنقص مما دعاهم إلى تصحيحها وتطويرها، بالإضافة إلى إدخال إضافات فريدة أثرت بشكل كبير في غنى وثراء المكتبة الجغرافية.[2]

[1] إلياس بلكا، جغرافية عالم الإسلام في فكر ابن خلدون، مجلة التفاهم، ص ص: 32-33.

[2] محمد حسين محاسنة، الحضارة الاسلامية، مركز يزيد للنشر، ط:1، عمان، 2004-2005م، ص: 249.

ب- جهود المسلمون في الجغرافيا:

ب 1- الجغرافيا الفلكية:

أطلق المسلمون على هذا العلم علم الهيئة، وحددّوا موضوع بحثه في معرفة حركة الكواكب الثابتة والمتحركة واستدلوا بها على أشكال وأوضاع الأفلاك التي صارت أساسا للجغرافيا لديهم وتقوم في أغلبها على الأساليب الرياضية واستقوا هذا النوع من الجغرافيا من الهنود والفرس، والخوارزمي من الذين تأثروا بكتاب بطليموس ونهجوا النّهج الفلكي في مؤلفاتهم الجغرافية، وعرف الجغرافيون المسلمون الجاذبية الأرضية وفي هذا المجال ننوه إلى أن هناك من العلماء العرب والمسلمين الأوائل من تحدث عن الجاذبية ومنهم الهمذاني والبيروني الذي اكتشف آلية سقوط الأجسام الى الأرض.[1]

ب 2- خطوط الطول ودوائر العرض:

استخدم الجغرافيون العرب والمسلمون خطوط الطول ودوائر العرض لتعيين المواقع الجغرافية للمناطق، سواءا بالنسبة للقبلة في مكة، أو أي بقعة أخرى، عن طريق قياس ارتفاع النجم القطبي أو الشمس، تمكنوا من خلال ذلك إنشاء المزاول الشمسية لضبط الزمن وإقامتها في الميادين الكبرى حيث كانت تستخدم في ضبط أوقات النهار ولا سيما لأغراض إقامة الصلاة في أوقاتها، واستطاعوا رسم خارطة للأرض في عهد المأمون، عرفت باسم الخارطة المأمونية، وقد قسم العالم فيها إلى سبعة أقاليم وفق خطوط الطول ودوائر العرض وفيها صور للأفلاك والنجوم والبر والبحر والمدن.[2]

---

[1] عزيزة زايد مصطفى، إسهامات العرب والمسلمين في علوم الجغرافيا والبحار النشأة والتطور، مجلة بحوث الشرق الأوسط، ع:46، كلية الآداب، جامعة المنوفية، ص ص: 113-116.

[2] المرجع نفسه، ص ص: 119-120.

ب 3- الأجهزة العلمية:

- **آلة الإسطرلاب:** يعد من أشهر وأهم الأجهزة الفلكية التي عرفت في العصور الإسلامية ويستخدمه المنجمون والفلكيون في شتى المجالات،[1] ومعناه مقياس النجوم، وهو باليونانية اصطرابون **واصطر** هو النجم و**لابون** هو المرآة ومن ذلك قيل لعلم النجوم أصطرنوميا، والإسطرلاب التام هو المعمول لدرجة درجة، والنصف هو المعمول لدرجتين درجتين، والثلث هو المعمول لثلاث درج، والسدس هو المعمول لست درج، والعشر هو المعمول لعشر درج، ومن أنواعه نجد الإسطرلاب الكروي والإسطرلاب المسطح والإسطرلاب الحظي(أنظر الشكل 2) ، تكمن أهميته في تحديد اتجاه القبلة للصلاة. بالإضافة إلى أنه يستخدم للقياس والمسائل المتعلقة بالرّصد الذي يقوم مبدأه على الإسقاط المجماعي الذي مركزه القطب الجنوبي. كما يمكنه تحديد مكان نجم أو الوقت بالضبط في مكان معطى،

الشكل 2 أنواع الاسطرلاب

كما يقوم ببعض المقاسات كحساب علو صرح أو جبل أو عمق بئر أو عرض مكان فسيح جدا لا يمكنه اجتيازه، كذلك أخذ ارتفاع الشمس ويستطيع معرفة وجودها في أي

[1] بكير بوعروة، تاريخ علماء الفلك في بلاد الأندلس(138هـ-484م)، د: ط، دار سحاق الدين للكتاب، الجزائر، ص: 101.

درجة من أي برج في أي يوم كان، ومعرفة ميلها وميل الكواكب وغايات ارتفاعها واستخراج عرض البلاد منها ومعرفة أقواس الليل والنهار وساعاتها الزّمانية واستخراج الظل من الارتفاع ومقدار الارتفاع من الظل.[1]

- **الإبرة المغناطيسية (البوصلة):** تعتبر من الاختراعات الصينية، حيث كانت أول من استخدمها في الملاحة البحرية، ومع ذلك لم يستفد الصينيون من هذه التقنية بشكل فعّال، فقام المسلمون باستخدامها بشكل لائق[2]، وهي عبارة عن إبرة على شكل سمكة، توصل إليها العرب في القرن الحادي عشر وحبسوا سر تركيبها عن منافسيهم في التجارة البحرية، استخدمها الإدريسي، وقد ساعدت على نشأة الجغرافيا وخرائطها علما عمليا يستند إلى حقائق تستقى من المشاهدة والخبرة والقياس.[3]

2- دور العرب واسهامهم في الفكر الجغرافي:

أ- تعريف الجغرافيا عند العرب:

يعد مصطلح "**جغرافيا**" حديث العهد في اللغة العربية إلى حد ما، حيث كان علماء العرب والمسلمين في الماضي يستخدمون عبارات أخرى بديلة، مثل "**وصف الارض**" أو "**خريطة العالم**" أو "**المسالك والممالك**"، بدلا من مصطلح "**الجغرافيا**".[4]

لم يكن العرب يستخدمون مصطلح "**جغرافية**" أو أي مرادف له للدلالة على هذا العلم حتى القرن (2هـ/9م). في البداية كان المصطلح يستخدم للإشارة إلى الكتابة فقط، وكان المسعودي أول من استعمله للإشارة إلى العلم والمعرفة الخاصة بالأرض والشعوب. فقد قال: "**الجغرافية هي**

---

[1] موسى جبريط، مخطوط بغية الطلاب في علم الإسطرلاب للجاك التلمساني (دراسة وتقديم)، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال افريقيا، م:5، ع: 1، يناير 2022، ص ص: 260-263.

[2] محمد حسين محاسنة، المرجع السابق، ص ص: 249-250.

[3] توفيق الطويل، في تراثنا العربي الاسلامي، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 1923م-1990م، ص: 30.

[4] حسين عليوي ناصر الزيادي، المرجع السابق، ص: 7.

قطع الأرض" وكان يقصد بها الوصف، وهو ما استمر حتى تحول علم الجغرافيا إلى مجال منفصل، تأثر بصور الأرض التي قدمها زيدان.

وقد استخدم العرب عدة مصطلحات للدلالة على هذا المجال العلمي، مثل **"علم الأطوال والعروض"** الذي يركز على قياس البلدان والمسافات، و**"علم البلدان"** الذي يتناول وصف الأرض و**"علم الأقاليم"** الذي يصف المناطق المختلفة، و**"علم البريد"** الذي يهتم بشبكات الطرق والمواصلات، إلى جانب مصطلحات أخرى مثل **"علم الأطوال"** و**"جغرافيا الممالك"**.[1]

ب- الفكر الجغرافي العربي:

بدأ الفكر الجغرافي لدى العرب في وقت متأخر لأسباب ترتبط باهتماماتهم الأساسية، والتي كانت ترتكز في مجالات محددة مثل الشعر واللغة وأنساب العرب والتاريخ، ومع ذلك فإن البيئة الجغرافية لبلاد العرب فرضت عليهم تنمية معرفتهم الجغرافية، حيث إن طبيعة تلك البلاد القاحلة تطلبت البحث المستمر عن مصادر المياه، في حين أن الصحراء الواسعة فرضت الحاجة إلى معرفة المسالك والطرق. كما أن قلة الموارد دفعت العرب إلى الاعتماد على التجارة، مما جعل بعضهم بارعين في مجال الجغرافيا، حيث لعب التجار والأدلاء والمرشدون دورا في توجيه القوافل عبر الطرق المختلفة.

قبل الاسلام، لم يكن للعرب سوى معلومات جغرافية أولية، اكتسبوها من خلال ترحالهم في الجزيرة العربية، وانعكست هذه المعرفة في أشعارهم، كمل لعب التجار دورا مهما في توسيع مداركهم الجغرافية من خلال أسفارهم وتفاعلهم مع سكان المناطق الأخرى، حيث نقلوا ما شاهدوه و واجهوه خلال رحلاتهم.[2]

---

[1] أسامة الطيب جعيل، الجغرافيا عين التاريخ المبصرة في بلاد المغرب الاسلامي خلال العصر الوسيط ق5/3هـ- 10/09م، مجلة إضاءات، جامعة الجزائر02، الجزائر العاصمة، 2018/12/31م، ص: 81.

[2] كمال عبد الله حسن، المرجع السابق، ص: 56.

ومن ناحية أخرى، كان المناخ الصحراوي واتساع السماء فوقهم عاملا أساسيا في تحفيز تفكيرهم حول مواقع النجوم وحركتها، مما انعكس بشكل واضح في أشعارهم وقد مثل ذلك بداية لظهور إدراك جغرافي وفلكي عند العرب قبل الإسلام، لكنه ظل محدودا ومع مجيء الإسلام تعزز هذا الاهتمام ليشمل أسبابا وعوامل جغرافية أكثر تطورا، سواء من حيث المعرفة النظرية أو التطبيقات العملية.[1]

ت- إسهامات العرب في الفكر الجغرافي:

ت 1- الجغرافيا الفلكية:

اهتم العرب قبل الإسلام بالسماء وما تحتويه من نجوم وكواكب وظواهر مختلفة، وربطوا بين حركات الشمس والقمر والنجوم والتغيرات المناخية، كما استخدموا مواقع النجوم كوسيلة للاستدلال على طرقهم خلال السفر، لقد أثارت هذه المشاهدات فضولهم ودفعتهم الى اكتساب معرفة فلكية حيث اعتمدوا عليها في تفسير بعض الظواهر الدنيوية وربطها بحركات الأجرام السماوية، كما اعتقدوا أن استقرار أوضاع النجوم يمكن أن يكون مؤشرا لما سيحدث في المستقبل.

ومن الجدير بالذكر أن العرب أطلقوا أسماء متعددة على العلوم المرتبطة بالفلك، مثل علم الهيئة، وعلم التنجيم، وعلوم النجوم، وعلم أحكام النجوم، وعلم هيئة العالم، وعلم الأفلاك، وعلم الزيجات والتقاويم.[2]

نال علم الجغرافيا الفلكية اهتماما خاصا بدافع معرفة التقاويم وتحديد المواقع والاتجاهات، وارتبط بعلم الرياضيات. كتب الدمشقي حول الشكل الكروي للأرض، بينما قدر ابن يونس موقع الدائرة الاستوائية في مؤلفه كتاب "**الزيج الكبير**" بدرجة قريبة من القياسات الحديثة، كما أكد البيروني أن الأرض تدور حول محورها، مما يؤدي إلى تعاقب الليل والنهار، وأثبت أن دورانها حول الشمس مع

[1] حسين عليوي ناصر الزيادي، المرجع السابق، ص: 6.

[2] محمد محمود حمدين، المرجع السابق، ص: 141.

ميلان محورها يتسبب في تعاقب الفصول الأربعة. كذلك قدم تفسيرا للظواهر الطبيعية مثل خسوف القمر وكسوف الشمس.[1]

سعى العلماء العرب إلى قياس الفرق بين الدائرة العرضية والتي تليها وتمكنوا عبر تجارب متعددة من تحديد متوسط طول الدرجة العرضية الواحدة بـ (56ميلا)، وهو ما تطابق مع نتائج البيروني المستندة إلى دراساته في الهند، كما قدر محيط الأرض بنحو (24،000ميل) وأسهم ذلك في تحديد خطوط الطول ودوائر العرض والمسافات الفاصلة بينها موضوع جدل بين علماء المسلمين، حيث تمحور الخلاف حول موقع خط الطول الأساسي، انقسم العلماء إلى فريقين، فذهب التيباني وأبو الفدا الى ما أقره بطليموس معتبرين أن خط الطول الرئيسي يمر عبر جزر الخالدات (المعروفة بجزر الكناري حاليا). في المقابل رأى البيروني والمسعودي أن الخط يمر عبر الساحل الشرقي لإفريقيا، تحديدا عند جزيرة زنجبار.[2]

ت 2- الجغرافيا الوصفية:

كان اهتمام العرب بوصف المناطق طبيعيا نتيجة اتساع الدولة الإسلامية، كما ساهم السفر والترحال في تعزيز هذا الاهتمام، حيث دفعهم شغفهم بمعرفة أحوال البلدان وسكانها إلى تطوير أدب الوصف الجغرافي. وبذلك، أصبح هذا المجال مدخلا رئيسيا لفهم المعارف الجغرافية الأخرى مما ساهم في تطور الدراسات الإغريقية في هذا المجال.[3]

يعد الإرث الجغرافي الذي خلّفه العرب من أهم إنجازاتهم، وقد تحقق ذلك بفضل الجهود الكبيرة التي بذلها الرحالة المسلمون في البر والبحر، حيث دفعهم شغفهم بالمعرفة إلى مرافقة فترات ازدهار الحضارات لدى مختلف شعوب العالم. حيث اعتمد الرحالة على وصفهم على المشاهدات

[1] عيسى علي ابراهيم، المرجع السابق، ص: 72.
[2] المرجع نفسه، ص ص: 72-73.
[3] محمود أبو العلا، المرجع السابق، ص: 16.

المباشرة والمقارنات الدقيقة بين المسافات والمعالم الطبيعية، كما أضافوا بعض الروايات التي سمعوها من السكان المحليين وقد أدى هذا النهج إلى تعزيز ما ورد في هذه الكتب من معلومات، إذ قضى بعض الرحالة العرب معظم حياتهم في الترحال بفضل حرية التنقل في أرجاء العالم الإسلامي ومع ذلك، ركز العديد منهم على ذكر تفاصيل البلاد التي زاروها، باستثناء الأماكن المقدسة التي غلب على وصفها الطابع الديني والتقديس.

تضمن الوصف الجغرافي الطرق والمسارات التي تربط بين المدن مع تحديد المسافات بينها، ومدى توافر الأمن على امتدادها، بالإضافة إلى الموارد المائية وأماكن الراحة مثل "الخانات" التي يمكن للمسافرين النزول فيها، والأسواق التي تباع فيها السلع أو تشترى، كما اهتم الرحالة العرب بوصف المدن، فقدموا تفاصيل دقيقة عنها، بدءا من نشأتها وأبرز معالمها وأسواقها وحتى طبيعة سكانها وأديانهم وعاداتهم، كما وثّقوا ما تعرضت له بعض المدن من دمار أو إعمار، وأشاروا إلى أهم معالمها مثل المساجد والآثار.

كان هذا التوثيق جزءا أساسيا من كتب الرحلات لكن معظم المؤلفين لم يولوا اهتماما كبيرا بالظواهر الطبيعية إلاّ بشكل محدود إذ اقتصروا على وصف البحار والأنهار والجبال عند الإشارة اليها في سياق السرد التاريخي او الأدبي، وفي بعض الحالات تطرقوا إلى الانتاج الزراعي والصناعي والمعادن المتوفرة في المناطق التي زاروها.[1]

ت 3– الجغرافيا الإقليمية:

تعرف الجغرافيا الإقليمية بجغرافيا البلدان حيث تتجسد في المصنفات التي اعتمدت النهج الوصفي كأساس لها، وقد تبنى معظم الجغرافيين العرب والمسلمين هذا الأسلوب، مستخدمين المشاهدات والزيارات الميدانية، وخاصة في بداياتهم ومن بينهم البكري والمقدسي والإدريسي والمسعودي وغيرهم وتطورت هذه المؤلفات لاحقا إلى نمط يجمع بين الشمولية بدلا من العرض

[1] عيسى علي ابراهيم، المرجع السابق، ص ص: 74-75.

المفصل، حيث شهد منتصف القرن (4هـ/10م) تركيزا أكبر على دراسة الموقع والمناخ والجيولوجيا وتضاريس الأرض، إلى جانب مواردها المائية ونباتاتها الطبيعية، والحيوانات والخصائص البشرية والتقسيمات الإدارية.

وتعد مصنفات الإصطخري، وابن حوقل والمقدسي من أبرز المؤلفات التي تمثل هذا الاتجاه، حيث ركزت على تقسيم الأقاليم وصورة الأرض، وأفضل الأساليب لفهمها وقد بدأت الكتب الإقليمية بتقديم وصف تفصيلي لجزيرة العرب ومدنها المعروفة وقراها وسهولها ومراعيها، وموانئها والتي اكتسبت شهرة واسعة بين العرب ومن أشهر تلك المصنفات كتاب **"المسالك والممالك"** للكرخي وكتاب **"البلدان الصغيرة"** و **"البلدان الكبيرة"** بالإضافة إلى **"جزيرة العرب"** للأصمعي و **"صفة جزيرة العرب"** للهمداني.

أما انتقال التأليف في الجغرافيا الإقليمية من نطاق العرب إلى البعد العالمي فقد بدأ مع كتاب "صورة الارض" للخوارزمي.[1]

وفي هذا المجال، قدم العرب وصفا تفصيليا للأقاليم المختلفة، متناولين أبرز خصائصها الطبيعية والبشرية.

أطلق العرب على الإقليم الواقع جنوب الصحراء اسم **"إقليم السودان"** وكانوا يقصدون به جميع المناطق الممتدة من بلاد الحبشة شرقا إلى سواحل إفريقيا الغربية، وخلال القرون الميلادية التالية، سعوا إلى إقامة علاقات تجارية وتوطيد الصداقة مع سكان هذه المناطق، كما وصلوا إلى كل من السنغال والنيجر من جهة، وحاولوا استكشاف أسرار أعالي نهر النيل من جهة أخرى.[2]

[1] عزيزة زايد مصطفى، المرجع السابق، ص: 120.

[2] عيسى علي ابراهيم، المرجع السابق، ص: 80.

ت4- جغرافية البحار والمحيطات:

اهتم الجغرافيون العرب والمسلمون بدراسة البحار والمحيطات مستفيدين مما أورده بطليموس حولها إلى جانب استنتاجاتهم الخاصة. كما اعتمدوا على روايات البحارة والربابنة والتجار في توثيق معلوماتهم حول خصائص هذه المسطحات المائية. تناول الرحالة والجغرافيون المسلمون الأوائل مشاهداتهم وتوثيق رحلاتهم، حيث أشار الإصطخري في كتابه المسالك والممالك إلى حركة النقل البحري والتجارة عبر المحيط الهندي وسواحلها خلال العصور الوسطى. كما تطرق القزويني في كتابه عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات إلى وصف المحيط الهندي باعتباره من أعظم المحيطات.

وقد قدم الإدريسي وصفا دقيقا لبحر القلزم في كتابه **"نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"** مشيرا إلى أن هذا البحر شديد الظلمة بسبب الرياح العاتية، وأن الإبحار فيه يتطلب مهارة كبيرة للنجاة من مخاطره كما وثق العمري في كتابه **"مسالك الابصار في ممالك الأمصار"** أوصافا دقيقة لموانئ اليمن، مثل عدن التي كانت أعظم مراسيها ومركزا تجاريا مهما.

من جانبه أشار ابن بطوطة في رحلاته إلى لقاء مجموعة من فقراء العرب والعجم الذين اعتمدوا على الإبحار في المحيط الهندي كوسيلة تواصل وتنقل، مستعرضا المخاطر والتحديات التي واجهوها. وقدم الجغرافيون المسلمون توثيقا شاملا للبحار والمحيطات، واصفين أنواع السفن والمراكب المستخدمة سواء للأغراض التجارية والحربية أو الترفيهية، كما ناقشوا ظواهر البحر وطبيعته مثل كروية الأرض وتأثير المسافة على الرؤية داخل البحر، موضحين أن السفينة تبدوا صغيرة عند الابتعاد عن الساحل، ثم تتلاشى تدريجيا عن الأنظار. [1]

[1] عزيزة زايد مصطفى، المرجع السابق، ص ص: 117-118.

3- أبرز علماء الجغرافيا في العصر الإسلامي:

أ- ابن حوقل:

عاش في القرن العاشر[1]. هو أبو القاسم محمد بن علي الموصلي،[2]المعروف بابن حوقل[3]ولد في بغداد ونشأ فيها وقد ارتبط اسمه بالشريف السري الأصبهاني، الذي أهدى إليه كتابه الشهير "**صورة الأرض**". يعد ابن حوقل من أبرز أعلام المدرسة الجغرافية التي ضمت أيضا عددا من الجغرافيين المرموقين مثل الاصطخري، والجوهري، وابن خرداذبه، والبتاني، والمسعودي. ويعد ابن حوقل من أوائل الجغرافيين الذين تبنوا التفسير الحتمي في الجغرافيا، إذ حاول الربط بين المناخ وغيره من الظواهر الجغرافية.[4]

أمضى ابن حوقل ثلاثين سنة من عمره في الترحال، متنقلا في أرجاء العالم الإسلامي شرقا وغربا. شملت رحلاته مناطق متعددة مثل مصر والشام، والبحرين، والاحساء، إضافة إلى بلاد فارس وخراسان. كما زار مناطق في آسيا الوسطى والجنوبية حتى إقليم السند، وامتد به السفر حتى بلغ بلاد البلغار ووصل إلى وسط نهر الفولكا. كذلك، جاب بلدان المغرب العربي والأندلس وإفريقيا، حتى غانا جنوب الصحراء الكبرى، وزار جزيرة نابولي ومدينة بالرمو، وهي أكبر مدن جزيرة صقلية. بذلك، غطت رحلاته مساحات واسعة من القارات الثلاث للعالم القديم: آسيا، وأوروبا، وإفريقيا، وكانت بغداد نقطة انطلاقه، حيث بدأ رحلته يوم الخميس السابع من رمضان سنة 331هـ/942م. فبدأ أولا من العراق ثم انتقل إلى مختلف أقاليم العالم الإسلامي.

---

[1] ابن حوقل، صورة الأرض، د: ج، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، 1992، ص: 5.

[2] عباس فاضل السعدي، الجغرافيون العرب حتى القرن الثالث عشر الهجري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2023، ص: 150.

[3] حسام نجم الدين عبد الشمري، المنهج الجغرافي عند ابن حوقل، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه فلسفة في الجغرافيا، قسم الجغرافية، جامعة ديالي، جمهورية العراق، 1435هـ/2014م، ص: 12.

[4] عباس فاضل السعدي، المرجع السابق، ص: 150.

كان ابن حوقل تاجرا محترفا، لم تقتصر أنشطته التجارية على بلده العراق، بل تعداها ليصبح من التجار الذين يصنفون اليوم بالعابرين للقارات. وفي الوقت ذاته، كان مثقفا واسع الاطلاع، يهتم بالعلم، خاصة بالجغرافيا لما لها من علاقة بمهنته، وكان يحب السفر والاستكشاف. جامعا بين التجارة ودراسة أحوال البلاد والشعوب.[1]

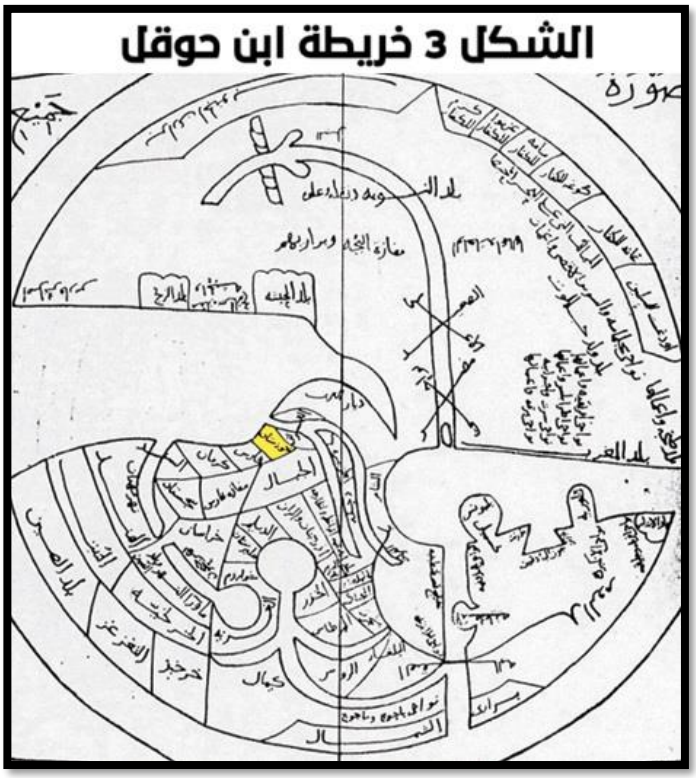

رسم ابن حوقل خريطة تُعد من أبرز الخرائط الجغرافية في التراث الإسلامي الوسيط، وقد وردت ضمن كتابه الشهير "صورة الأرض"، الذي ألفه في القرن العاشر الميلادي (القرن الرابع الهجري). (أنظر الشكل 3)

أما فيما يتعلق بتاريخ وفاة ابن حوقل، فإن أغلب المصادر تشير إلى أنه توفي سنة (367هـ/977م) أو بعد هذا التاريخ بقليل، في بلاد العراق، وتدعم هذه الرواية الأدلة التي تربط بين وفاته وإنجازه لكتابه المعروف بـ **"المسالك والممالك"** أو **"صورة الأرض"** حيث يذكر أن ابن حوقل قد أهدى نسخة من مؤلفه إلى ابي السرى الحسن بن الفضل بن ابي السرى الأصبهاني مشيرا في مقدمته إلى قوله: **"وقد عملت له كتابي هذا بصفة أشكال الأرض ومقدارها في الطول والعرض وأقاليم البلدان ومحل الغمر منها والعمران من جميع بلاد الإسلام بتفصيل مدنها وتقسيم ما تفرد بالأعمال المجموعة إليها".**

[1] حسام نجم الدين عبد الشمري، المرجع السابق، ص: 15.

وتعد هذه القرائن من أبرز الأدلة التي تؤكد أن وفاة ابن حوقل كانت في سنة 367هـ. وفي مدينة بغداد تحديدا.[1]

ب- المقدسي:

هو ابو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد المقدسي البشاري[2] اشتهر بالمقدسي نسبة إلى موطن رأسه بيت المقدس[3]، ثم انتقل إلى بغداد حيث تلقى العلم على يد علمائها، وداوم على ارتياد دور الكتب فيها، وقد استهواه علم الجغرافيا، فانصرف الى دراسة ما كتب فيه، وبدأ بتأليف مؤلفاته وتدوين ملاحظاته بناءا على ما شاهده أثناء رحلاته، ويعد من أبرز الرواد في الجغرافيا العربية الإسلامية،[4] حيث أطلق عليه ما يقارب أربعة وثلاثين لقبا مختلفا، ارتبط عدد منها بالأمصار والمدن التي زارها وأقام بها، مثل: الشامي، المغربي، والعراقي، والخراساني، والبغدادي، والربعي. كما نسبت إليه ألقاب أخرى تعكس طبيعة نشاطه كرحالة. ومن أبرزها: الراكب والسائح، وهي ألقاب تجسد اهتمامه الكبير بالسفر والتنقل عبر الأقاليم الإسلامية.[5]

ألف المقدسي كتابه الموسوم بـ **"أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"** متضمنا فيه معلومات قيمة حول البلدان التي زارها وأقام بها، ودون مشاهداته بدقة. وقد أشار صراحة إلى أنه لم يزر الأندلس وأن ما كتبه عنها استند إلى روايات الحجاج الذين التقى بهم واطمأن إلى صحة ما نقلوه. وعلى الرغم من أهمية تلك المعلومات، إلّا أنها كانت محدودة من حيث الدقة

[1] حسام نجم الدين، المرجع السابق، ص: 25.

[2] عباس فاضل، المرجع السابق، ص: 165.

[3] فلاح شاكر أسود، المقدسي، سلسلة نوابغ الفكر العربي، ط: 1، هيئة كتابة التاريخ، 1988م، ص: 7.

[4] عباس فاضل، المرجع السابق، ص: 156.

[5] أمل هشام أحمد نصار، المقدسي البشاري، أبو عبد الله، شمس الدين محمد بن أبي بكر(ت 380هـ/990م) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم دراسة في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والدينية والادارية والعمرانية، أطروحة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ، كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2008م، ص: 6.

والتفصيل، كما أنها لم ترقى إلى مستوى ما سجله عن الأقاليم الأخرى التي زارها شخصيا، خاصة فيما يتعلق بالتقسيمات الادارية.

ويشير المستشرق كراتشكوفسكي إلى أن المقدسي لم يزر إقليم السند، وربما لم يزر سجستان أيضا، ومن خلال تحليل ما أورده من معطيات حول جزيرة صقلية، يتبين أنه قد زارها فعلا، نظرا لما تميزت به معلوماته عنها من دقة ووضوح.[1]

افتتح المقدسي كتابه بمقدمة متميزة تعكس إلمامه العميق بمفاهيم علم الجغرافيا وتظهر فهما قريبا من الأساليب المعتمدة في الدراسات العلمية الحديثة، وقد قسم عمله إلى ثلاثة أقسام رئيسية: القسم الأول يشمل ما شاهده بنفسه، والثاني ما نقله عن مصادر موثوقة. أما الثالث فاستند فيه إلى ما ورد في الكتب والمصنفات السابقة. كما لم يغفل عن ذكر المنهج الذي اتبعه والصعوبات التي واجهته، مشيرا إلى ما تحمله من مشاق وما أنفقه من أموال في سبيل جمع مادته العلمية.

ولإضفاء مزيد من الوضوح على محتوى كتابه، عززه المقدسي بمجموعة من الخرائط الملونة، موضحا أنه رسم الحدود والمعالم باللون الأخضر، والأنهار باللون الأزرق، والجبال باللون الرمادي، وذلك بهدف تسهيل الفهم وتبسيط المعلومات لكل من المتخصصين والعامة.[2] (أنظر الشكل 4)

الشكل 4 خريطة العالم الإسلامي للمقدسي

[1] فلاح شاكر، المرجع السابق، ص: 10.

[2] سعيد عبده، تطور الفكر الكارتوجرافي عند الجغرافيين العرب في العصور الوسطى "دراسة في الجغرافيا التاريخية"، مجلة المجمع العلمي المصري، م: السابع والتسعون، 2022م، ص: 113.

ت- اليعقوبي: 284هـ/897م

هو أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب الإخباري الشهير باليعقوبي وبابن واضح،[1]وكان يقال له مولى بني العباس ومولى بني هاشم، كان بحاثة في التاريخ وأخبار البلدان ولقد أعطى التنقيب حقّه في سياحته في البلاد شرقا وغربا ودخل بلاد فارس وأطال المقام في بلاد أرمينية، ودخل الهند أيضا والأقطار العربية. فالشام، فالمغرب، فالأندلس، وراح يبحث عن الأمصار وأهلها وعن عاداتهم وحكوماتهم وعن المسافات بين البلدان.[2] وقد بدأت ميول اليعقوبي تتكيف منذ عهد مبكر، ولم تلبث أن اتخذت اتجاها واضحا نحو الجغرافيا بالذات[3]، ولديه مؤلفات جغرافية مهمة منها: **"تاريخ البلدان"** و**"البلدان"**، فضلا عن كتابه التاريخي **"التاريخ"** و**"أخبار الأمم السالفة ومشاكلة الناس لزمانهم"**[4]

يعتبر اليعقوبي من أوائل العرب والمسلمين الذين اهتموا اهتماما بالغا بالجغرافية البشرية، فقد كان من المغرمين بعلم الجغرافية من نعومة أظافره، لذا برز في هذا العلم وذاع صيته بين طلابه، ممّا دفعه إلى الأسفار المتصلة لكي يرى على الطبيعة ما سطره في كتابه **"كتاب البلدان"** الذي بقي من أهم المصادر للمتخصصين في هذا المجال.[5]

ث- المسعودي:

هو علي بن الحسين بن علي بن عبد الله المسعودي، مؤرخ ورحّالة وبحاثة من أهل بغداد، كان إخباريا علامة صاحب غرائب وملح ونوادر، ولد في بابل بالعراق، من مؤلفاته نذكر: كتاب **"مروج الذهب ومعادن الجوهر"** وهو من آخر الكتب التي ألفها، وله كتاب في العمران والظواهر

---

[1] أحمد بن أبي يعقوب اسحاق اليعقوبي، البلدان، دار الكتب العلمية، ط : 1، بيروت، لبنان، 2002م، ص: 5.

[2] أسامة الطيب جعيل، المرجع السابق، ص: 85.

[3] عبد الرحمان حميدة، أعلام الجغرافيين العرب، دار الفكر، ط: 1، دمشق، 1995م، ص: 106.

[4] عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج: 1، مؤسسة الرسالة، ط: 1، بيروت، د: ت، ص: 102.

[5] علي بن عبد الله الدفاع، المرجع السابق، ص: 78.

الجغرافية بعنوان **"أخبار الزّمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالملء والعمران"** كما له بعض الكتب المفقودة.

تتلمذ المسعودي على يد مجموعة من الشيوخ منهم أبو العباس أحمد بن سريج والعالم الملقب بوكيع وهو محمد بن خلف بن حيّان، وكذلك احمد بن سعيد الدمشقي، وابو اسحاق الزجاج.[1]

امتلك المسعودي شهوة التجوال في باكورة حياته، فأمضى شبابه في الترحال طولا وعرضا، فزار أصقاعا من الهند والصين ومدغشقر ثم رجع إلى بغداد وزار آسيا الصغرى والشام وفلسطين.[2]

قام المسعودي بمعالجة الموضوعات المختلفة في علمي التاريخ والجغرافية معالجة العالم المتمكن صاحب البصيرة الثاقبة والملاحظة النيرة، لذا نراه فتح آفاقا جديدة للباحثين في هذا المجال. فقد فسر حركتي المد والجزر، وتكلم عن بعض الظواهر الطبيعية وكان يعتقد بكروية الأرض وبالغلاف الغازي المحيط بها.[3]

ج- الخوارزمي:

اسمه محمد بن موسى، وأصله من خوارزم[4]، عاش في بغداد، تتلمذ على يد كبار المفكرين هناك، لمع في زمن الخليفة العباسي المأمون في كل من العلوم الرياضية والفلكية والجغرافية، وكان يلقب بالأستاذ لعلمه وحكمته. لأبي عبد الله الخوارزمي صولة ورجولة في علم الجغرافية فقد اختصر كتاب الماجسطي وسماه "السند الهند" أي "الدهر الداهر" كما ألف كتابه الشهير **"رسم الربع المعمور"** والمعروف باسم **"صورة الأرض"** الذي تحدث فيه عن الجبال والمدن والطرق في العالم والذي نال به شهرة عظيمة، الكثير منا يعرف مكانته في العلوم الرياضية

---

[1] محمد صياح العبسي، موقف المسعودي من الخوارج في العهد الأموي من خلال مؤلفاته، مجلة المؤرخ المصري، يوليو 2019م، ج: 2، ع: 55، ص ص: 226-227.

[2] أحمد نفيس، جهود المسلمين في الجغرافيا، وكالة الصحافة العربية، تر: فتحي عثمان، 2021م، ص: 47.

[3] علي بن عبد الله الدفاع، المرجع السابق، ص: 115.

[4] ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص: 384.

ولكن له الفضل الأكبر كذلك في ميدان علم الجغرافيا، فهو من الأولين الذين أرسوا الأسس الأولى الجغرافية، فكتابه **"صورة الأرض"** ترك آثارا خالدة في هذا المجال.[1]

من بين الخرائط التي رسمها الخوارزمي خريطة نهر النيل والتي تُعد من أقدم الخرائط المعروفة التي تصور هذا النهر، وقد وردت ضمن كتابه الشهير "صورة الأرض" الذي ألّفه في القرن التاسع الميلادي (القرن الثالث الهجري). (أنظر الشكل 5)

الشكل 5 خريطة نهر النيل للخوارزمي

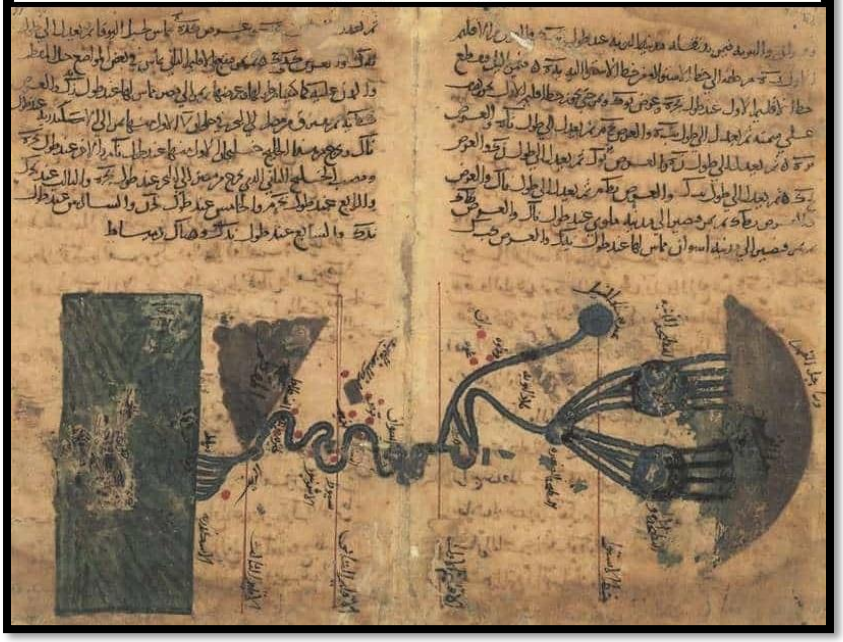

يعد الخوارزمي من أبرز العلماء المسلمين على الإطلاق في مجال الجبر واللوغاريتمات، فهو اول من وضع كتابا في الجبر ووضع له الأساس الصحيح الذي لازال يدرس إلى يومنا هذا في جميع أنحاء العالم، ولذلك أطلق عليه لقب أبو الجبر. من انجازاته الرائعة عدا التأليف أهمها: ابتكار علم اللوغاريتمات والبرهنة على صحة نظرية فيثاغورس عن المثلث القائم الزاوية. بالإضافة إلى اكتشافه الطرق الخاصة بتحديد مساحات الأشكال والسطوح الهندسية كالدائرة والقطع الدائرية.[2]

[1] علي بن عبد الله الدفاع، المرجع السابق، ص ص: 62-63.

[2] عاطف محمد، عبقري علم الرياضيات الخوارزمي، دار اللطائف، ط: 1، القاهرة، 2003م، ص ص: 14-23.

الفصل الثالث

اسهامات الغرب الإسلامي في الجغرافيا

1- الخرائط في الغرب الإسلامي.
2- دور الرحلة في تطور الفكر الجغرافي.
3- أبرز علماء الجغرافيا في الغرب الإسلامي.

يعد الفكر الجغرافي في الغرب الإسلامي نتاجًا تفاعليًا بين عدة عوامل، من أبرزها استخدام الخريطة كوسيلة لفهم العالم وتحديد معالمه، إلى جانب دور الرحلة التي وفرت معلومات ميدانية أسهمت في دقة التصورات الجغرافية. وقد ازدهر هذا الفكر بفضل جهود مجموعة من علماء الغرب الإسلامي الذين تركوا بصمة واضحة في تطوير المعرفة الجغرافية. وهذا ما سنتطرق إليه في هذا الفصل حيث تم تقسيمه إلى ثلاث عناصر وهي كالآتي:

- الخرائط في الغرب الإسلامي.
- دور الرحلة في تطور الفكر الجغرافي.
- أبرز علماء الجغرافيا في الغرب الإسلامي.

1- الخرائط في الغرب الإسلامي:

أ- ماهية الخريطة:

الخريطة صورة مصغرة بمقياس رسم مناسب لسطح الأرض أو لجزء منه مرسومة على لوحة مستوية، وتخضع الخريطة في رسمها لأسلوب معين يهدف إلى المحافظة على الاتجاه الصحيح، أو المسافة الصحيحة، أو المساحات الصحيحة، ويعرف هذا الأسلوب بمساقط الخرائط، غير أن الخريطة تختلف عن الصورة في أمرين هما:

- أن الخريطة تختار ما توضحه من معلومات، فهي قد تضم بيانات التضاريس أو المناخ فقط، كما يمكن أن توضح أكثر من عنصر كما هو الحال في خريطة للمدن، أو طرق المواصلات، أما الصورة فهي تنقل لنا كل ما على الطبيعة من ظاهرات وقت التقاطها دون أي حذف أو اضاف.
- ومن ناحية أخرى نجد أن الخريطة توضح بعض المعلومات الموجودة فعلا على سطح الأرض مثل معالم التضاريس من جبال وسهول ووديان.

ب- خصائصها:

- **عنوان الخريطة:**

يوضح عنوان الخريطة ما تضمه من معلومات تتناول مضمونها والموضوع الذي تعالجه والإقليم الذي تتناوله، وعنوان الخريطة هو أحد المعلومات الأساسية التي يجب ظهورها على الخريطة وفي مكان بارز منها، وعادة ما نجده في أحد أركان الخريطة وخاصة ركنها الجنوبي أو أسفلها.[1]

[1] أحمد علي اسماعيل، الجغرافيا العامة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، جامعة القاهرة، 1995م-1996م، ص ص: 24-32.

- **مقياس رسم الخريطة:**

وهو يوضح العلاقة النسبية بين المسافات والمساحات على الخريطة وما يقابلها على الطبيعة، يمكن لقارئ الخريطة أن يدرك النسبة والتناسب بين الخريطة والطبيعة ولا يمكن لقارئ خريطة ما أن يدرك هذه العلاقة دون وجود مقياس رسمها عليها.

- **مفتاح الخريطة:**

ويسمى أيضا دليل الرموز والمصطلحات وهي تسمية ذات دلالة، فعن طريقه يمكن معرفة ما تدل عليه مجموعة الرموز والعلامات والاصطلاحات الواردة على الخريطة وماذا تمثل على الطبيعة وبدونه تصبح هذه الرموز بلا معنى وتصعب بذلك قراءة الخريطة ومعرفة محتواها ومضمونها.

- **دليل القارئ:**

لابد لقارئ الخريطة أن يكون على علم ودراية بموقع الإقليم الذي تتناوله الخريطة، وهو أمر لا يحتاج إلى ايضاح وتحديد. إذا كانت الخريطة تتناول إقليما كبيرا معروفا من العالم مثل افريقيا أو دولة كبيرة مثل الصين أو الولايات المتحدة أو العالم العربي، أما إذا تناولت الخريطة مساحة محدودة مثل الوجه البحري أو إحدى محافظات مصر، فإن القارئ قد يحتاج إلى أن يجد على الخريطة ما يدله على ما يوضح له موقعها، ويمكن أن يتضح ذلك من خلال رسم شبكة خطوط الطول ودوائر العرض التي تحدد الموقع الفلكي. [1]

- **الاتجاه:**

يعد الاتجاه من أهم أساسيات الخريطة من أجل الاستخدام السليم لأنه وسيلة قارئها في توجيه الخريطة توجيها سليما بحيث يكون على معرفة صحيحة بالاتجاهات الرئيسية عليها وعادة ما

[1] أحمد علي اسماعيل، المرجع السابق، ص ص: 34-35.

يستخدم اتجاه الشمال دليلا للاتجاه على الخريطة ويظهر عليها في صورة سهم صغير يرسم في أحد أركانها العليا.[1]

ت- أنواع الخرائط:

- **الخرائط الطبغرافية:** وهي من بين الخرائط المتميزة في كثير من النواحي، فهي توضح الكثير من المعالم الطبيعية على سطح الأرض مثل الظاهرات التضاريسية من جبال وسهول ووديان وأنهار ومستنقعات، والظاهرات البشرية مثل مواقع المدن والقرى والمصارف والطرق بأنواعها المختلفة، ترسم بمقياس رسم كبير نسبيا، وتستخدم هذه الخريطة رموزا وعلامات اصطلاحية موحدة حتى تحقق عالمية استخدامها.
- **الخرائط التضاريسية:** وهي الخرائط التي توضح تفاصيل سطح الأرض من حيث الارتفاع أو الانخفاض على مستوى سطح البحر، ومدى أو درجة الانحدار، والأنهار والأودية التي تجري على هذا السطح، هذا بالإضافة إلى ظاهرات تضاريسية أخرى مثل المستنقعات والملاحات، والبحيرات وأشكال الرمال. [2]
- **الخرائط المناخية:** وهي توضح أحد عناصر المناخ المختلفة من حرارة وضغط ورياح وأمطار مثل خريطة توزيع الحرارة في فصل أو في شهر أو توزيع للمطر السنوي لإحدى القارات أو الدول، كما تستخدم خرائط الطقس لبيان حالة الجو في فترة زمنية قصيرة لا تتجاوز أسبوعا.[3]
- **الخرائط التاريخية:** وهي توضح التقسيمات السياسية للعالم وما طرأ على حدود الدول من تغيرات في فترات معينة من التاريخ، وقد ترسم هذه الخرائط لتبين الفتوحات والغزوات وحدود الامبراطوريات والممالك القديمة والحديثة وتطورها.[4]

---

[1] احمد علي اسماعيل، المرجع السابق، ص: 35.

[2] المرجع نفسه، ص: 28.

[3] المرجع نفسه، ص: 29.

[4] يسرى الجوهري، الخرائط الجغرافية، مكتبة الاشعاع للنشر والتوزيع، الاسكندرية، 1997م، ص: 124.

- **الخرائط الاقتصادية:** وهي نوع من خرائط التوزيعات تبين توزيع الانتاج الاقتصادي بفروعه المختلفة، وقد رسم هذه الخرائط على أساس توزيع مناطق الانتاج فقط، أو على أساس توزيع كمية الانتاج أو مؤسسات الانتاج أو عدد العاملين فيه، وهذه النواحي الأخيرة تقوم على الاحصائيات والارقام، ولهذا كان معظم الخرائط الاقتصادية التي تتصل بها من نوع الخرائط البيانية أي المزودة بالرسوم البيانية المتنوعة.[1]
- **الخرائط السكانية:** وقد تختص بتوزيع السكان وكثافتهم ونموهم وتيارات الهجرة الوافدة والنازحة، والهجرة من الريف إلى المدينة وغير ذلك من المعلومات عن سكان الإقليم وخصائصهم السكانية.
- **الخرائط العامة:** وهي التي يشيع استخدامها بين قطاع كبير من مستخدمي الخريطة وذلك لسهولة استخدامها وبساطة إخراجها مثل الخريطة السياحية أو الإعلامية، فهي تتطلب من قارئها أن يكون على دراية علمية جغرافية متخصصة يمكن أن يضم هذا النوع من الخرائط العالمية مثل خرائط الأطالس.[2]

ث- مراحل تطور رسم الخريطة في الغرب الإسلامي:

شكل اتساع رقعة الدولة الإسلامية وتحولها إلى مركز استراتيجي مهم في العالم أحد العوامل الحاسمة التي دفعت المسلمين إلى تطوير معارفهم الجغرافية والخرائطية، فتح امتداد حدود الدولة من أقصى الغرب الإسلامي إلى مشارف الصين شرقا، بات من الضروري الإلمام بتضاريس البلاد ومعرفة معالمها بدقة، ليس فقط لأغراض إدارية وتنظيمية كتحديد مقادير الضرائب والخراج وفقا لطبيعة الأرض ومواردها، بل أيضا لتأمين طرق المواصلات والربط بين المدن. كما ساهمت كافة حركة السفر والترحال داخل أقاليم الدولة الإسلامية في ترسيخ الحاجة إلى الخرائط الدقيقة، سواء كان ذلك للحج أو طلب العلم أو حتى لأغراض عسكرية، فقد

[1] يسري الجوهري، المرجع السابق، ص: 133.

[2] أحمد علي اسماعيل، المرجع السابق، ص: 30.

ازدادت تنقلات القوافل التجارية، وبرزت الحاجة إلى معرفة المسافات، وتوزيع المنازل، ومصادر المياه، مما دفع الجغرافيين المسلمين إلى تسجيل تلك المعلومات وانتاج خرائط مفصلة تعكس واقع الطرق والمعالم والمناخ والموارد الطبيعية، وهكذا تداخلت العوامل السياسية والاقتصادية والدينية والعلمية في تعزيز العناية بعلم الخرائط والارتقاء به في الحضارة الإسلامية.[1]

وقد قسم بعض المهتمين بدراسة التراث الجغرافي الإسلامي الخرائط العربية وفقا لخصائصها إلى ثلاث فترات كل مجموعة ترتبط لفترة زمنية معينة:

- **الفترة الأولى**: وتتميز هذه الفترة بظهور أثر أعمال بطليموس وماريوس وغيرها من الأعمال الإفريقية الأخرى وأول ممثل لهذه الفترة هو محمد بن موسى الخوارزمي في النصف الأول من القرن الثالث الهجري.
- **الفترة الثانية**: وتمثل مرحلة الأصالة في الخرائط العربية حيث اتسمت خرائط هذه المجموعة بسمات معينة انفردت بها، مما دفع بعض الباحثين إلى اطلاق مصطلح أطلس الإسلام على هذه الخرائط، ومن رواد هذه المرحلة ابن خردذابة والإصطخري وابن حوقل، والمقدسي، ومعظم أعمال هذه الفترة ترتكز في القرن الرابع الهجري، تبدأ أعمالهم بخارطة مستديرة للعالم تتبعها خريطة شبه جزيرة العرب.
- **الفترة الثالثة**: ويطلق عليها المرحلة العربية النورماندية، وقد بدأت بأعمال الإدريسي في القرن الثاني عشر ميلادي عند ملك صقلية، واستمرت في القرون التالية، ومن نماذج تلك المجموعة بعض الخرائط البحرية المحفوظة بمتحف الأمبروزيانابا بإيطاليا والتي يرجح أنها ترجع إلى القرن الرابع عشر ميلادي [2].

[1] جمال الدين فالح الكيلاني، الرحلات والرحالة في التاريخ الإسلامي، دار الزنبقة، ط: 1، القاهرة، 2014م، ص: 24.
[2] محمد محمود محمدين، المرجع السابق، ص ص: 310-311.

الخريطة عند الإدريسي:

يعد الإدريسي من أشهر صناع الخرائط العرب[1]، فقد اختلفت خرائطه عن خرائط رواد المدرسة الإقليمية، فخرائطه لم تعتبر جزءا من خرائط أطلس الإسلام، فهي تلتزم بمقياس الرسم وتحديد مواضع خطوط الطول والعرض، كما تلتزم بالشكل الحقيقي للمنطقة. رسم الإدريسي خارطتين الأولى على كرة من الفضة كتب عليها كل ما كان يعرفه من بلدان مختلفة، كذلك صنع خريطة على شكل مستطيل من الفضة وهي تكاد تكون أكبر الخرائط في العالم، وقد قسم خارطة العالم إلى سبعين قسما باعتبار أن أقاليم الأرض المأهولة هي سبعة أقاليم، وقد استخدم الألوان في خرائطه، فاستعمل اللون الأزرق للبحار والأخضر للأنهار، واللون الأحمر والبني والأرجواني للجبال، كما رسم المدن على شكل دوائر مذهبية.[2]

أولى كذلك الإدريسي اهتماما بالغا بخطوط الطول ودوائر العرض، فقد أدخل مفهوم الترابط بين الخرائط أي أن كل خريطة من الخرائط الإقليمية تكون جزءا من الخريطة العالمية لأنه صمم خرائطه على شبكة من الاحداثيات سميت بلوح الرسم لذلك جاءت أسماء البلدان ودرجات طولها وعرضها قريبة من الواقع [3]

تبين من خلال ما تقدم أن الخريطة لم تكن أداة تقنية فحسب بل شكلت عنصرا جوهريا في الفكر الجغرافي إذ ساعدت على تمثيل المجال وتنظيم المعرفة المكانية، وقد لعبت دورا مركزيا في توجيه الرحلات وتنظيم العمران ممّا جعلها جزءا لا يتجزأ من الفكر الجغرافي عبر العصور.

[1] محمد صبحي عبد الحكيم- ماهر عبد الحميد الليثي، علم الخرائط، مكتبة الأنجلو المصرية، 1984م، ص: 23.

[2] شاكر خصباك، الجغرافيا عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط: 1، 1986م، ص ص: 69-70.

[3] علي الشباطات، تطور صناعة الخرائط في العالم العربي والإسلامي من(2300 ق.م-1400م)، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، م: 7، ع: 3، 2010م، ص: 508.

2- دور الرحلة في تطور الفكر الجغرافي:

أ- ماهية الرحلة دوافعها وأنواعها:

أ 1- تعريف الرحلة:

- **لغة:** وردت لفظة الرحلة من كلمتي الترحيل والارتحال،[1] وهي الانتقال من موضع إلى موضع آخر، يقال رحل الرجل إذا سار، والرحلة بالضم الوجه الذي تريده، أما الرحل في قولك هذا رحل الرجل لمنزله ومأواه فهو من هذا.[2]
- **اصطلاحا:** تتعدد مفاهيم الرحلة إلّا أنها تسير في معنى عام واحد، فهي الانتقال من مكان إلى مكان لتحقيق هدف من الأهداف، أي قطع المسافة بين نقطتين في فترة زمنية محددة وغرض محدد، هي حركة سفر وانتقال، فهي حركة في الطول والعرض والعمق، تجوال في جغرافية الأماكن والظواهر والأشياء، وهي التي تتناول عادة وصف الظواهر الطبيعية والبشرية من جبال وبحار وأنهار وطرق.[3]

يعرفها صلاح الدين الشامي: إن الرحلة تظل إنجازا أو فعلا مباشرا لما يعينه أو يقتضيه أمر اختراق حاجز المسافة أو اسقاط الفاصل الحاجز بين المكان الذي تبدأ منه والمكان الذي ينتهي اليه.

أ 2- دوافع الرحلة:

- **الضرورة:** تعد الضرورة واحدة من الدوافع الحتمية للرحلة والتي تدفع الرحّالة للتنقل والارتحال مثل الخروج بحثا عن الأكل والماء أو هربا من مصيبة كظلم حاكم، أو هربا من النزاعات المحلية

---

[1] سلام ناصر ووالي-عقيل عبد الله ياسين، محاضرة تاريخ الرحلة وأسبابها عند الرحالة العرب والمسلمين في العصر العباسي، جامعة واسط، كلية التربية، ص: 368.

[2] يزيد بودربالة، الأنساق الثقافية في السرد الرحلي العربي القديم –دراسة في نماذج مختارة من القرن 4هـ إلى القرن 8هـ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص أدب قديم، جامعة 08 ماي 1954م، قالمة، 2022م/2023م، ص: 08.

[3] سلام ناصر ووالي، المرجع السابق، ص: 367.

والظروف الاجتماعية القاسية، فكانت الرحلة إحدى الطرق التي لجأ إليها الإنسان إنقاذا لنفسه. ومن الرحالة الذين دفعتهم الضرورة للرحلة نجد ابن العربي الذي عرف برحلته الضائعة.[1]

- **الدافع الديني**: يعد العامل الديني أهم عامل يدفع الرّحالة إلى الارتحال، فالإنسان ينتقل إلى المشرق الإسلامي لأداء مناسك الحج، ولأن الحج فريضة على كل مسلم قادر ماليا وبدنيا كان أحد أهم الأشياء التي ربطت المشرق بالمغرب، وعملت على توحيد الثقافة في سائر أنحاء البلاد الإسلامية بالرّغم من المسافات الطويلة، ودوّن بعض الحجاج الواسعين ثقافة مشاهداتهم بعد عودتهم من الحج لينتفع بتجارتهم سائر المسلمين، بعدها زخرت كتبهم بأحوال سكان البلاد وطبيعة مزاجهم وأسس اقتصاداتهم وينابيع ثروتهم ورخائهم، ومن هؤلاء الرحّالة نذكر على سبيل المثال ابن جبير وابن بطوطة.
- **الدافع العلمي**: كانت الرحلة إحدى السبل التي لجأ إليها الرحّالة بغية طلب العلم وملاقاة العلماء والفقهاء ومحاورتهم والاستفادة منهم، وهناك بعض من العلوم الإسلامية ما يرتبط بالرحلة ارتباطا عضويا لا انفصام له مثل الجغرافيا، ونجد الجغرافيين المسلمين من الرحالة لذلك كان الرحّالة يقطع المسافات من أجل معرفة معلومة أو محاورة عالم.
- **الدافع الاقتصادي**: كانت من بين أهداف الرحلة القيام بعملية التجارة سعيا لطلب الرزق بحكم الموقع الاستراتيجي للوطن العربي الذي كان يتوسط قارات العالم القديم وكان مركز التقاء الطرق التجارية بين هذه القارات، فالتجارة كانت من أهم الدوافع التي دفعت الرحالة إلى تدوين رحلته حتى يعين القارئ على معرفة الطرق التجارية البرية والبحرية، ولعل أوّل ما ارتبطت به الرحلات علم تقويم البلدان والمسالك والممالك لوصف الطرق والمناخ والعديد من الأمور الأخرى.

[1] أسامة الطيب جعيل، المرجع السابق، ص ص: 80-82.

- **الرحلة الادارية والسياسية:** وتسمى كذلك رحلة السفارة وهي رحلة رسمية يقوم بها الرحالة بطلب من الحاكم لقضاء حاجة قد تتعلق بشأن البلاد كما قد تخص الحاكم بنفسه، بل إن هذا النوع من الرحلات قد يكون بهدف التجسس والاستطلاع كرحلة سلام الترجمان 227هـ/841م. [1]

أ 3- أنواع الرحلات:

تعددت أغراض الرحلات عند المسلمين، وتنوعت بين أهداف دينية وعلمية، تجارية، وسياسية، وقد صنفها بعض الباحثين ضمن أربع فئات رئيسية: الرحلات الدينية، الرحلات العلمية، التجارية والسياسية، إلا أن هذا التصنيف يبقى حسب السياق التاريخي والمضمون الثقافي لكل رحلة.

- **الرحلات الدينية:**

تمثل الرحلات الدينية أقدم أنواع الرحلات وأكثرها شيوعا بين المسلمين، حيث ارتبطت ارتباطا وثيقا بمقاصد أداء الفرائض الدينية كالحج والعمرة وزيارة الأماكن المقدسة، وقد تكون هذه الرحلات فردية أو جماعية، وغالبا ما كانت تجمع بين المقاصد التعبدية والمعرفية، مثل طلب العلم أو لقاء العلماء.

- **الرحلات العلمية:**

برزت الرحلات العلمية مع ازدهار العلم في ظل انتشار الإسلام، فكان طلب العلم أحد أهم أسباب التنقل بين الأقاليم الإسلامية، ساهمت هذه الرحلات في بناء شبكة علمية واسعة، ونقل المعارف بين المراكز العلمية الكبرى كالقيروان وفاس والأندلس، وقد دون العلماء رحلاتهم

[1] أسامة الطيب جعيل، المرجع السابق، ص ص: 82-83.

في كتب مثل الرحلة لابن بطوطة والرحلة المغربية لابن عبد البر، حيث كانت هذه الكتب توثق مشاهداتهم العلمية وتعد مرجعا لفهم الحياة الفكرية في العصور الإسلامية المختلفة.[1]

- **الرحلات التجارية:**

لم تقتصر الرحلات على الأغراض الدينية والعلمية، بل شغلت التجارة حيزا مهما في نشاط الرحالة حيث كان التجار ينتقلون بين الأقاليم لتبادل السلع ونقل الأخبار، والاطلاع على أوضاع الأسواق، وكانوا غالبا ما يدونون مشاهداتهم في كتابات تزخر بالمعلومات الجغرافية والاقتصادية مما أضاف بعدا معرفيا جديدا لهذه الرحلات.

- **الرحلات السياحية:**

سعى بعض الرحالة إلى البحث عن الحرية، حيث المهم هو السفر لا المكان الذي يرتحل إليه، فالدافع وراء القيام بهذه الرحلة هو التمتع بالحياة والوصول إلى مواطن الجمال في كل مكان والرغبة في اكتشاف ما لم تره العين، فيقوم الرحالة بالسفر بمحض إرادته دون دافع خارج عن حدود الذات، لذا جاءت بعض الرحلات لارتياد الأماكن ووجوب الآفاق والترويح عن النفس.

- **الرحلات الرسمية:**

هذا النوع من الرحلات يضم الرحلات التكليفية والادارية والسفارية، وهي خاصة بدوافع عديدة منها تفقد أمر الرغبة، أو تلبية طلب الحاكم في معاينة أماكن مجهولة أو بعيدة أو الإتيان بأخبارها، قد تكون في إطار التجسس أو الاستطلاع. وعدت السفارة الشكل الرسمي للرحلات، حيث يوكل بها الرحالة من قبل الحاكم، وهي الرسالة التي يتنافس على أدائها من يتكلفون بها، اذا كانت تقترن في نفوسهم برفعة الدولة الاسلامية وعلو شأنها. فقد جاب الرحالة السفراء مشارق الأرض ومغاربها وعند عودتهم تجد كتاباتهم مليئة بأوصاف مثيرة عن ترتيبات الدول وأنظمتها

[1] محمد الصافي، أهمية كتب الرحلات كمصدر في تدوين التاريخ : رحلة ابن بطوطة نموذج، مجلة آفاق للعلوم، م: 5، ع: 4، الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين، المملكة المغربية، 2020م، ص: 306.

ومراسم استقبالها للسفراء والوفود الرسمية الوافدة من وجاهة وتقاليد خاصة تبرز قوتها ومكانتها، فضلا عن أوصافهم للمسالك والطرق وعادات الناس.[1]

ب- أهم الطرق والمسارات بين الغرب الإسلامي والمشرق:

كان هناك عدة طرق كان يستخدمها الحجاج المغاربة للوصول إلى المشرق لأداء فريضة الحج. كانت هذه الطرق، التي يطلق عليها اسم طرق الحج، تُعتبر مسارات هامة للاتصال والتواصل بين المغرب والمشرق نذكر من بينها:

ب1- رحلة ابن جبير 578هـ:

بدأ ابن جبير رحلته من مدينة غرناطة في الثامن من شهر شوال سنة 578هـ، الموافق لـ 14 فبراير 1183م، متوجهًا نحو السواحل المغربية، حيث وصل إلى مدينة سبتة الواقعة في أقصى المغرب. ومن هناك، ركب البحر برفقة مجموعة من الحجاج، رغم أن السفر عبر البحر في تلك الفترة لم يكن مضمونًا، إذ كان الحجاج ينتظرون في الموانئ لحين توفّر السفن المناسبة للإبحار. وقد أشار ابن جبير إلى ذلك أثناء مقامه بسبتة، إذ قال: "وألفينا بها مركبًا للروم الجنوبيين مقلعًا إلى الإسكندرية بحول الله عز وجل، فسهل الله علينا في الركوب فيه". وقد انطلقت الرحلة البحرية يوم الخميس، التاسع والعشرين من نفس الشهر.

ويُعتقد أن استخدام الطريق البحري لأداء مناسك الحج خلال تلك المرحلة التاريخية كان ينطوي على كثير من المجازفة؛ فعند الرجوع إلى المعطيات التاريخية لتلك الحقبة، يتّضح أن البحر الأبيض المتوسط كان يخضع للنفوذ الأوروبي إذ كانت سواحله الشرقية، خاصة في منطقة الشام، تحت سيطرة الصليبيين من الناحية العسكرية، بينما شهدت سواحله الغربية ازدهارًا في النشاط التجاري نتيجة العلاقات المتنامية بين الغرب الإسلامي وكلٍّ من جمهوريتي بيزا وجنوة الإيطاليتين. وبما أن السفن التي كانت تستخدم في الرحلات البحرية غالبًا ما تعود لهاتين

[1] محمد الصافي، المرجع السابق، ص ص: 306-307.

الجمهوريتين، فقد كان على الحجاج الراغبين في السفر بحرًا أن يركبوا على متن هذه المراكب، رغم ما قد يشكّله ذلك من مخاطر.[1]

ابحر ابن جبير من ميناء سبتة في 29 شوال 578هـ / 24 فبراير 1183م، قاصدًا الإسكندرية، مرورًا بعدد من جزر البحر الأبيض المتوسط، مثل دانية ويابسة ومنورقة وميورقة وسردانية وصقلية. وقد استغرقت رحلته البحرية قرابة ثلاثين يومًا، حيث وصل إلى الإسكندرية في 29 ذي القعدة 578هـ / 26 مارس 1183م. ويُعزى هذا التحديد الزمني الدقيق إلى التزام ابن جبير بتوثيق يومياته خلال الرحلة، وهو ما صرّح به صراحةً في مطلع مدونته، الأمر الذي يُضعف من صحة بعض الدراسات المعاصرة التي ادّعت أنه دوّن رحلته بعد عودته إلى غرناطة سنة 581هـ / 1185م[2].

ب2– رحلة العبدري 688هـ:

انطلقت رحلتنا، بحمد الله وتوفيقه، يوم الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة سنة 688 هـ، من منطقة حاحة – حفظها الله – حيث سلكنا الطريق المؤدي إلى بلاد القبلة. وخلال سيرنا مررنا بمنطقة أنسا، التي تقع في أعالي بلاد السوس الأقصى، وهناك قمنا بزيارة قبر الولي الصالح الشيخ أبي حفص عمر بن هارون، أحد كبار أولياء الله ومن أعلام الصالحين في تلك الربوع، كما وصفه بذلك عدد من العلماء.[3] إلى أن بلغ الجهات الشرقية، حيث التحق بطريق القوافل المؤدي إلى مدينة تلمسان.

---

[1] فوزية كراز، مسالك الحجاج المغاربة من خلال الرحلات المغربية الرحلات الحجازية، جامعة معسكر، الجزائر، ص: 3.

[2] المرجع نفسه، ص: 4.

[3] أبو عبد الله العبدري، رحلة العبدري، تح : علي ابراهيم كردي، تق: شاكر الفحام، ط: 2، دار سعد الدين للطباعة والنشر، 1426هـ/ 2005م، ص: 40.

وقد شكّلت تلمسان محطة بارزة في مسار الحجيج المغاربة، إذ كانت مركزًا لتجمع القوافل المتوجهة نحو الحجاز، ووفقًا لتقديرات العبدري، بلغ عدد الحجاج المجتمعين فيها قرابة الألف حاج، وهو ما دفعه إلى استئناف تسجيل رحلته انطلاقاً من هذه المدينة.

وبعد فترة إقامة طويلة بتلمسان، غادر الركب في الخامس من شهر ربيع الأول من نفس السنة، متوجهاً نحو بلدة مليانة على ضفاف وادي الشلف، ومنها إلى مدينة الجزائر، ثم باجة، فمدينة تونس، التي اعتُبرت المحطة الرئيسية الثانية في مسار الرحلة.

أشار العبدري إلى أن مدينة تونس كانت محطة رئيسية لالتقاء القوافل القادمة من الغرب والشرق. وبعد إقامة طويلة بها، تابع الركب مسيره نحو القيروان، ثم قابس، فطرابلس، حيث عبّر الرحالة عن أسفه لتدني المستوى العلمي في تلك المدن. وعند بلوغهم أرض برقة، واجهوا صعوبات جمّة، واصفاً الطريق هناك بالقاسية والخطرة.

واصل الركب رحلته عبر العقبتين إلى الإسكندرية، ثم القاهرة حيث أقام العبدري عيد الفطر، وهناك اجتاحه الشوق إلى وطنه، فعبر عن مشاعر الغربة شعراً. وبعدها اتجهوا إلى مكة المكرمة، حيث طاب له المقام وعزم على الإقامة، غير أن أحداثاً طارئة حالت دون ذلك. ثم واصل الركب نحو المدينة المنورة التي بلغوها في نهاية ذي الحجة سنة 688هـ. وفي العودة، سلكوا نفس مسار الذهاب مروراً بمصر، ثم تلمسان، ففاس، ومكناسة، وأزمور، إلى أن وصلوا إلى بلاد حاحا[1].

ت- وصف البلدان:

يشكل وصف البلدان أحد الأوجه البارزة للفكر الجغرافي القديم، إذ اهتم الجغرافيون بتسجيل ملامح الأقاليم من حيث الموقع والحدود والطرق والمناخ، والعمران، وقد مثل هذا

[1] نور الدين امعيط، الرحلة المغربية إلى الحجاز خلال العصر الوسيط رحلة العبدري نموذجا، كان التاريخية، ع: السادس والثلاثين، السنة العاشرة، يونيو 2017م، ص: 127.

الوصف مرآة تعكس تصوراتهم للعالم المعروف آنذاك، كما أسهم في إثراء المعرفة الجغرافية وربطها بالواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي للمجتمعات.

وفي هذا السياق سنعرض نماذج مختارة لوصف بعض المدن كما وردت في مصادر الجغرافيين المسلمين لبيان خصائص هذا اللون من الكتابة الجغرافية:

ت1- تلمسان:

حدد الجغرافيون والمؤرخون المسلمون موقع مدينة تلمسان ضمن الإقليم الثالث، عند خط طول أربع عشرة درجة وأربعين دقيقة، وخط عرض ثلاث وثلاثين درجة وعشرة دقائق. أما الجغرافيون المحدثون، فقد ضبطوا موقعها بدقة عند خط طول واحد درجة وثلاثين دقيقة غرب غرينيتش، وخط عرض أربع وثلاثين درجة وثلاث وخمسين دقيقة شمال خط الاستواء.

تقع مدينة تلمسان على السفح الشمالي لجبل تلمسان (الذي يُعرف حاليًا بجبل الظهرين)، وهو جبل يمثل الطرف الشرقي لسلسلة جبال الريف الممتدة بمحاذاة السهول الساحلية المغربية حتى تبلغ المنطقة القريبة من تلمسان، والتي تُعد حدًا طبيعيًا فاصلًا بين المغرب الأوسط والمغرب الأقصى. وقد مكّن موقع تلمسان من التحكم في الممرات البرية التي تربط بين الداخل والخارج. كما أن المدينة محاطة بالجبال من الغرب والجنوب، ما يجعلها محمية طبيعيًا بفضل التكوينات الصخرية الصمّاء، التي ساهمت في حفظ مواردها الطبيعية مثل الأنهار والينابيع[1].

تتمتّع مدينة تلمسان بماضٍ تاريخي عريق، يعود الفضل فيه إلى موقعها الجغرافي الاستراتيجي، إضافة إلى كونها شكّلت عاصمة للمغرب الأوسط – أي الجزائر – لمدة تجاوزت ثلاثة قرون. وقد شهدت خلال هذه الفترة ازدهاراً ملحوظاً في الفكر ونمواً في الحركة الحضارية وتطوراً معمارياً لافتاً، ما جعلها قبلة لعدد كبير من أعلام الفكر والسياسة والثقافة. ونتيجة لذلك، أصبحت تلمسان تُعدّ مدينةً للفن والتاريخ والثقافة بامتياز[2].

[1] بسام كامل عبد الرزاق شقدان، تلمسان في العهد الزياني633-962هـ/ 1235-1555م، رسالة مقدمة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير، قسم التاريخ، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس- فلسطين، 1422هـ/ 2002م، ص: 9.

[2] يحي بوعزيز، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، سحب الطباعة الشعبية للجيش، 2007م، ص: 15.

حين استقرّ آل زيان بمدينة تلمسان واتخذوها عاصمة لملكهم ومقرًّا لسلطانهم، قاموا بتشييد القصور الفخمة والمنازل الفسيحة، كما غرسوا الرياض والبساتين، وأجروا المياه في أرجائها، فغدت من أعظم مدن المغرب وأكثرها ازدهارًا. وقد وفد إليها الناس من مختلف الأقطار، ونشطت بها الحركة العلمية والصناعية، فبرز منها العلماء، واشتهر فيها الأعلام، حتى نافست كبريات الحواضر الإسلامية ومراكز الحكم في العالم الإسلامي.

وقد عبّر السلطان يوسف الأول، أمير غرناطة، عن مكانة تلمسان في رسالة بعث بها إلى السلطان أبي عنان المريني عند دخوله المدينة سنة 752هـ/1351م، قائلاً: "فتح تلمسان، وما أدراك ما تلمسان، قاعدة الملك، وواسطة العقد، وقلادة في جيد الزمان، حاضنة البر والبحر، استندت إلى الليل ظهراً، وأفصحت بالفجر جهراً، غدت باباً للمغرب، ومعبراً لحجيج الحرمين، ومقصداً للآمال، وملاذاً للعلماء والصالحين، حسناء تخطف الأبصار بين الحياء والجمال، وتفخر بما شُيِّد فيها من عمارة، وبما ضمّته من دور للجباية والمعرفة". [1]

ت2– القيروان:

تقع مدينة القيروان في موقع منبسط وسط البلاد، وتتصل بمناطق ساحلية متعددة؛ فمن جهتها الشرقية تقع بالقرب من بحر سوسة والمهدية، بينما يحدها من جهة القبلة بحر سفاقس وقابس، أما أقرب السواحل إليها فهو البحر الشرقي، الذي يفصلها عنه مسيرة يوم واحد. وتبعد أيضاً عن الجبل والسهل المعروف بسواد الزيتون أو "الساحل" مسيرة يوم على التوالي.

يحيط بالقيروان من الجهة الشرقية سبخة واسعة من الملح تتميز بنظافتها وجودتها، ويُعد الجانب الغربي – المعروف بفحص الدارة – من أفضل تلك الجهات، إذ تُنتج فيه في السنوات الممطرة مائة حبة من الحبة الواحدة[2].

وقد وصفها الشريف الإدريسي بأنها أمّ الأمصار، وقاعدة بلاد إفريقية، وأوسع مدنها عمرانًا، وأكثرها سكانًا، وأيسرها معيشة، وأقواها تجارة وربحًا. كما اعتبرها من أعظم حواضر المغرب الإسلامي بحيث كانت منقسمة لقسمين القيروان وصبرة.[3]

---

[1] بوشموش محمد، التاريخ السياسي والعمراني لمدينة تلمسان في العصر الوسيط، المجلة التاريخية الجزائرية، ع: 10، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، ديسمبر 2018م، ص: 104.

[2] ابي عبيد البكري، المسالك والممالك، تح: جمال طلبة، ج: 1، ط:1، دار الكتب العلمية ، بيروت–لبنان، 1324هـ/ 2002م، ص: 197.

ت3- بلاد الشام:

لقد أبدع المقدسي في رسم صورة زاهية لبلاد الشام فامتزج في وصفه الحس الجغرافي بجمال العبارات ودقة الملاحظات، فرأى الشام جنة من جنات الأرض، معتدلة المناخ، عذبة الماء، طيبة الهواء، كثيرة الخيرات والثمار حتى قال " ... لو قال قائل إن الشام جنة الدنيا لما أبعد..." وقد تجلت حضارتها في عمران مدنها ووفرة مساجدها وأسواقها وسمو أخلاق أهلها الذين امتازوا بالنظافة وحسن الهيئة وحب العلم والعبادة، ولم يغفل المقدسي عن الإشارة إلى مركزية الشام في العالم الإسلامي، لاسيما ما فيها من أماكن مقدسة كبيت المقدس ودمشق حاضرة العلم والجمال، كما كانت الشام ملتقى للتجار ومركزا اقتصاديا هاما تُشد إليه الرحال من سائر الأقطار، فقدم لنا بذلك لوحة فنية بالألوان الحضارية والدينية والانسانية وجعل الشام مثالا في الجمال والكمال.[1]

---

[3] مبارك بوطارن، القيروان بوصفها أول حاضرة إسلامية في بلاد المغرب ودورها في الإشعاع العلمي، حوليات التاريخ والجغرافيا، م: الثامن، ع: 2، ص: 9.

[1] المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مديولي، ط: 3، القاهرة، 1411هـ/ 1991م، ص ص: 39-40.

3- أبرز علماء الجغرافيا في الغرب الإسلامي:

أ- **الإدريسي**: الشريف أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الإدريسي[1] الحسني الطالبي، من كبائر علماء الجغرافية وهو من أدارسة المغرب الأقصى، ولد بثغر سبتة المغربي، تقع في شمال المغرب الأقصى، تلقى تعليمه بقرطبة واهتم بصفة خاصة بعلم الجغرافيا الذي أبدع فيه، توفي في صقلية سنة (560هـ/1164م).

أ 1- من مؤلفاته:

- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق الذي قضى في تأليفه(15 عاما)، يعتبر هذا الكتاب أحسن كتاب صنف في زمانه تضمن خرائط جغرافية لبعض المدن والجبال والأنهار والبحار.
- روضة الإنس ونزهة النفس ويعرف بالمسالك والممالك.

أ 2- من خرائطه:

خارطة ملونه مكتوبة بالحروف اللاتينية للقارات الثلاث وذلك سنة (1350هـ) (أنظر الشكل رقم6)

الشكل 6 خريطة الادريسي

[1] أبو العباس الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المئة السابعة ببجاية، دار الآفاق الجديدة، ط: 2، بيروت، 1979م، ص: 249.

أ 3- انجازاته :

أنه اخذ عن مدرسة الجغرافيين الفلكيين اليونانيين زبدة آرائهم، ثم أخذ عن مدرسة المالكين فكرة عمل الخرائط والأطالس، واعتبارها أساس الجغرافيا وطور هذه الناحية من أطلس الإسلام إلى أطلس العالم وذلك هو تجديده الأكبر فهو أول جغرافي في التاريخ وسما إلى مفهوم عالمي للعلم الجغرافي. بالإضافة إلى ذلك فإنه كتب أيضا في كل من علم النبات والصيدلة والطب والأدب [1] وبذكائه الخارق وتواضعه النادر استطاع أن يحصل على بعض الحقائق العلمية للطرق التجارية بين دول العالم من خلال الروايات التي حصل عليها من أفواه التجار والملاحين وأهل الأسفار ومن أهم أعماله العلمية كذلك تحديده منابع نهر النيل والبحيرات الاستوائية، تمكن من الحصول على المعلومات الجغرافية النادرة عن جميع أصقاع العالم التي كانت مقفلة في وجه العلماء والتجار العرب والمسلمين. فهو يعد جغرافيا متخصصا فقد نذر نفسه لهذا العلم الحيوي وأنتج فيه نتاجا رائعا لم ينتجه عالم من قبل.[2]

ب- البكري: أبو عبيد، عبد الله بن أبي مصعب بن أبي زيد محمد بن أيوب بن عمر البكري يعود نسبه إلى قبيلة بكر بن وائل والتي كان لها شأن بين القبائل العربية[3]، ولد بمدينة شلطيش وترعرع وتلقى تعليمه بمدينة قرطبة وانتقل من قرطبة إلى ألمرية وقضى آخر أيامه بمدينة إشبيلية حيث توفي هناك سنة (487هـ) عن عمر يناهز الثمانين عاما تقريبا.

ب1- إنجازاته: مكث أبو عبيد البكري حوالي خمسا وعشرين سنة في مدينة إشبيلية لم يهتم فقط بالجغرافيا وإنما بالعلوم الأخرى، وبقي هناك يبحث ويدقق بعض النظريات المستعصية عليه

[1] أحمد اسماعيل الجبوري- خولة محمود الصميدعي، تاريخ العلوم عند المسلمين، دار الفكر، ط:1، عمان، 1435هـ/2014م، ص: 98.

[2] علي بن عبد الله الدفاع، المرجع السابق، ص ص: 152-155.

[3] حسين صالح حسن الربيعي، أثر ابو عبيد البكري الأندلسي في الفكر العربي الاسلامي، مجلة الآداب، ع: 123، كلية الامام كاظم للعلوم الاسلامية للجامعة، 1439هـ/2017م، ص: 215.

مع زملائه العرب والمسلمين، ذاع صيته بين معاصريه كعالم ذكي ألمعي، فقد استفاد من صِلاته القوية بالأمير محمد بن معن أمير ألمرية وكذلك بالأمير الشاعر المعتمد بن عبّاد بأن طور نشاط الحياة العلمية والثقافية بالأندلس وذلك ببناء المكتبات العلمية التي يرجع إليها الباحثون في مختلف المعارف،[1] وجاءت شهرته من خلال أفكاره القيّمة التي كرس حياته في البحث عن المعلومة الجغرافية، والأدبية التي حوتها تلك المعارف الواسعة بين الكتب إلى الحد الذي جعل الملوك يتهادونها لما فيها من قيمة علمية جعلها هؤلاء الملوك المستودع الذي تناغم فيه مع أفكارهم وأحاسيسهم، فعزز مكانة البحث العلمي بين المؤرخين والباحثين الأمر الذي جعل البكري يهتم بكتبه ويقوم بصيانتها وتجليدها، والصفات التي تجلى بها البكري أهلة أن يكون عالما من الأعلام البارزين بين أقرانه والتي جعلته يرتقي إلى درجة النقد الأدبي.[2]

ب 2- من مؤلفاته:

- المسالك والممالك: وقد اشتهر بهذا الكتاب وهو من المؤلفات الجغرافية المعروفة.
- معجم ما استعجم: وهو معجم تناول فيه الأماكن والمدن والمواقع وأعطى ضبط لأسماء المواضيع والتعريف بها وتحديدها وذكر ساكنيها.
- أعيان النبات والشجيرات الأندلسية: جاءت فيه فوائد النباتات والأعشاب المختلفة والتي تستعمل كعلاج وكذا ذكر أماكن زراعته.
- اشتقاق الأسماء: وهو أحد مؤلفات البكري حيث توجد مؤلفات تحمل نفس اسم الكتاب.[3]

ت- ابن بطوطة: أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، المعروف بابن بطوطة[4] لقبه شمس الدين، ولد في طنجة في السابع عشر من رجب(703هـ/1304م) وتوفي بفاس

---

[1] علي بن عبد الله الدفاع، المرجع السابق، ص ص: 137-138.

[2] حسين صالح حسن الربيعي، المرجع السابق، ص: 127.

[3] المرجع نفسه، ص: 221.

[4] ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج:1، تح: محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، ط:1، بيروت، لبنان، 1407هـ/1987م، ص: 9.

سنة (779هـ/1377م).[1] تعلم الفقه والأدب، طاف أقطار العالم الإسلامي وذهب لأداء فريضة الحج ودامت رحلته ثلاثين سنة زار مصر والشام والمدينة المنورة، مكة المكرمة، العراق، الخليج العربي، آسيا الصغرى، بلاد الأوزبك، سمرقند، دلهي، جزيرة سيلان، الصين ومالي.[2]

ت1- انجازاته:

من أهم انجازاته وهي رحلاته التي تم الإشارة إليها مسبقا والتي كانت لاتعد ولا تحصى حيث أنه اكتشف غرائبها وعجائبها بالإضافة إلى المعلومات الجغرافية التي استقاها منها ووصفه للجبال والمسالك والمناخ والمحصولات فرحلاته تعد سجلا دقيقا وشاملا لحياة المعمورة، وقد اشتهر ابن بطوطة باجتماعاته المتكررة مع علماء كل بلد يجار به، كما أنه تتلمذ على يد كبار المفكرين في العلوم الشرعية في مكة. ومما لاشك فيه أنه من العلماء الشموليين الفريدين، حيث أنه لم يقتصر على فن من فنون المعرفة فقد تحدث عن عادات الناس وتقاليدهم وطباعهم كأنه عالم الاجتماع وذكر أيضا التضاريس والأودية والسهول والأنهار والبحار والطرق البرية والبحرية وبذلك يمكن أن نقول أن ابن بطوطة قد غامر بنفسه في سبيل المعرفة والعلم والكشف عن المجهول.[3]

ث- **ابن خلدون:** عبد الرحمان بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمان بن خلدون الحضرمي، ولد بتونس سنة (732هـ)[4]، وتوفي بالقاهرة سنة(808هـ) ينتسب الى عائلة عربية أصيلة.

[1] حسان حلاق، المرجع السابق، ص: 219.

[2] أحمد اسماعيل الجبوري- خولة محمود الصميدعي، المرجع السابق، ص ص: 98-99.

[3] علي بن عبد الله الدفاع، المرجع السابق، ص ص: 208-210.

[4] عبد الرحمان ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، دار الكتب اللبناني للطباعة والنشر، 1989م، ص: 4.

ث1- انجازاته:

- اهتمامه البالغ بالجغرافيا البشرية فكان يؤول اختلاف البشر في ألوانهم وميولهم ونشاطاتهم وصفاتهم الجسمية والعقلية يعود إلى البيئة الجغرافية[1]، حيث أن التأمل الذي كان موجود في حياته نستنتج من خلاله أن ابن خلدون كان كثير السفر حيث أنه كانت له خبرة في تناول السكان والارض والجغرافيا، فاطلاعه على الجغرافيا لم يكن عن طريق كتب فقط بل هو اطلاع مباشر على جزء كبير من العالم المتحضر آن ذاك.[2] وقد سبق ابن خلدون علماء الجغرافية المعاصرين إلى أهمية المناخ على الصفات الجسمية والعقلية وعلى سلوك الإنسان وبذلك يكون مؤسس الجغرافية البشرية.
- تكلم أيضا على شكل الأرض الكروي وعن البحار والأنهار والمسالك والممالك، يجمع المؤرخون والجغرافيون على أن ابن خلدون هو أول من عالج بمنهج علمي واضح ظواهر البيئة وآثارها الايجابية والسلبية في حياة الشعوب من حيث نظمهم السياسية والاقتصادية والعلمية والأخلاقية والعقلية.[3]

[1] علي بن عبد الله الدفاع، المرجع السابق، ص: 217.

[2] إلياس بلكا، المرجع السابق، ص: 34.

[3] علي بن عبد الله الدفاع، المرجع السابق، ص: 218.

خـــــــاتمـــــة

]

شكل علم الجغرافيا أحد العلوم الأساسية التي اهتم بها المسلمون، وقد جاء هذا الاهتمام استجابة لحاجات دينية كمعرفة اتجاه القبلة وتوقيت مواقيت الصلاة، وسياسية كإدارة الدولة وتنظيم الطرق، واقتصادية كتنظيم التجارة ممّا اكسبه بعدا علميا ومعرفيا في آن واحد.

أسهمت الحضارات القديمة، خاصة اليونانية والرومانية في توفير الأساس النظري الذي انطلقت منه الجغرافيا الإسلامية، غير أن المسلمين لم يكتفوا بالنقل بل أضافوا وأبدعوا من خلال منهجية علمية نقدية وتحقيق ميداني.

ساهم الفتح الإسلامي للغرب الإسلامي في خلق تفاعل حضاري ومعرفي، أدى إلى نشوء بيئة فكرية غنية ساعدت على بروز نخبة من العلماء والرّحالة الجغرافيين الذين كان لهم دور بارز في تطوير هذا العلم.

وفرت الأوضاع السياسية المستقرة في بعض فترات الغرب الإسلامي، لاسيما خلال حكم المرابطين والموحدين مناخا ملائما لازدهار الحركة العلميّة وتقدم المعرفة الجغرافية من خلال تأسيس المدارس والمكتبات وتشجيع الترجمة والتأليف.

إن الخرائط التي وضعت في الغرب الإسلامي خاصة على يد الإدريسي كانت تجسيدا حيا لتطور الفكر الجغرافي في العصر الوسيط، فقد جمعت بين المعطى العلمي والدقة التمثيلية، وأسهمت في ترسيخ نظرة شمولية إلى العالم، وهو ما يعكس وعي الجغرافيين المسلمين بأهمية التمثيل المكاني في خدمة العلم والمعرفة.

لعبت الرحلة سواء كانت لأغراض علمية، دينية، تجارية دورا محوريا في تطوير الفكر الجغرافي، حيث ساعدت على توسيع معارف الجغرافيين بالمدن والطرق والمسالك، ودفعتهم إلى تسجيل ملاحظاتهم بدقة علمية.

ساهم علماء الغرب الإسلامي في إثراء التراث الجغرافي الإسلامي والعالمي، من خلال مؤلفاتهم الدقيقة ورسوماتهم للخرائط، ووصفهم التفصيلي للبلدان ومن أبرزهم الإدريسي، والحميري، والبكري، وابن سعيد المغربي.

تميز الفكر الجغرافي في الغرب الإسلامي بنزعة واقعية وتطبيقية، حيث لم يكن علما نظريا مجردا، بل أداة لفهم العالم، واستيعاب تنوعه الطبيعي والبشري، ما يدل على نضج فكري وعلمي متقدم.

إن الفكر الجغرافي في الغرب الإسلامي لم يكن مجرد فرع من فروع المعرفة بل شكل مكونا أساسيا في البناء الحضاري الإسلامي، وهو تراث جدير بالبحث والتحقيق، لما فيه من دقة وموسوعية وقيمة علمية لاتزال تلهم الباحثين إلى اليوم.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا المصادر:

1 ابو الحسن علي بن بسام الشنتريني(ت 469هـ)، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، ج:1، تح: احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1417هـ-1997م

2 ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو البكري(ت 1094م)، المسالك والممالك، تح: جمال طلبة، ج: 1، ط:1، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان، 1324هـ/ 2002م

3 ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو البكري(ت 1094م)، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، دار الكتاب الاسلامية القاهرة.

4 الحافظ جلال الدين السيوطي(ت 911هـ)، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تح: ابو قتيبة نظر محمد الفاريابي، ج:1، ط:1، مكتبة الكوثر، مصر، رمضان 1414هـ

5 الحسن بن محمد الوزان الزياتي الفاسي(ت 1554م)، وصف افريقيا، ج:2، دار الغرب الاسلامي، ط:2، بيروت، لبنان، 1983م

6 أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني الزواوي(ت704هـ)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المئة السابعة ببجاية، دار الآفاق الجديدة، ط: 2، بيروت، 1979م

7 أبو العباس أحمد بن محمد بن عذارى المراكشي(ت 712هـ)، البيان المغرب في تلخيص اخبار المغرب والاندلس،ج:2، مكتبة صادر، بيروت

8 أبو العباس أحمد بن محمد بن عذارى المراكشي(ت 712هـ)، البيان المغرب في تلخيص اخبار المغرب، ج:1، ليدن، 1828م

9 أبو الفرج محمد بن إسحاق النديم(ت 384هـ)، الفهرست، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان

10 أبو عبد الله العبدري(ت 700هـ)، رحلة العبدري، تح : علي ابراهيم كردي، تق: شاكر الفحام، ط: 2، دار سعد الدين للطباعة والنشر، 1426هـ/ 2005م

11 أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي(ت 748هـ)، سير أعلام النبلاء، ج:19، ط:1، مؤسسة الرسالة، 140هـ/1984م

12 أبو عبد الله محمد ابن أحمد ابن ابي بكر المقدسي البشاري (ت 380هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مديولي، ط: 3، القاهرة، 1411هـ/ 1991م

13 أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي بن بطوطة(ت 779هـ)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج:1، تح: محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، ط:1، بيروت، لبنان، 1407هـ/1987م

14 أبي العباس أحمد القلقشندي (ت 821هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشى، ج:1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1340هـ/1922م

15 أحمد بن أبي يعقوب اسحاق اليعقوبي(ت 284هـ)، البلدان، دار الكتب العلمية، ط : 1، بيروت، لبنان، 2002م

16 شمس الدين بن الأكفاني(ت749هـ)، ارشاد القاصد الى اسنى المقاصد في انواع العلوم، تح و تع: عبد المنعم محمد عامر، مر: احمد حلمي عبد الرحمن، دار الفكر العربي، القاهرة

17 شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت 626هـ)، معجم البلدان، م:1، دار صادر بيروت، 1397هـ-1977م

18 عبد الرحمان ابن خلدون (ت 808هـ)، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، دار الكتب اللبناني للطباعة والنشر، 1989م

19 عبد الرحمن ابن خلدون(ت 808 هـ)، المقدمة، ج:1، دار الفكر للطباعة والنشر، 1431-2001

20 عبد الرحمن ابن عبد الحكم بن أعين بن ليث المصري أبو القاسم(ت 257هـ)، فتوح افريقية، تح: عبد الله أنيس الطباع، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت،1964م

21 علي بن محمد ابن الجوزي(ت 597هـ)، زاد المسير في علم التفسير، ط:1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، 1423هـ/2002م

22 محمد أبو القاسم بن حوقل(ت 367هـ)، صورة الأرض، د: ج، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، 1992

23 محمد بن عبد المنعم الحميري(ت 900هـ)، الروض المعطار في خبر الاقطار، تح: احسان عباس، مطابع هيدارغ، ط:1، ط:2، بيروت، 1974م-1975م

24 محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن منظور الأنصاري الإفريقي المصري الخزرجي(ت 711 هـ)، لسان العرب، م:5، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1956م/1375هـ

25 محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن منظور الأنصاري الإفريقي المصري الخزرجي (ت 711هـ)، لسان العرب، م:3، نشر ادب الحوزة، ايران، محرم 1405هـ

26 محمد عبد العظيم الزرقاني(ت 1367هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، تح: فواز احمد رمرلي، ج:1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1415-1995م

27 محي الدين عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي(ت 674هـ)، المعجب في تلخيص اخبار المغرب، مطبعة الاستقامة، ط:1، القاهرة، 1368هـ-1949م

28 مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة (ت 1068هـ)، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان

29 مؤلف مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الامصار، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985م

ثانيا المراجع:

1 ابتهال عادل ابراهيم الطائي، تاريخ الإغريق منذ فجر بزوخه وحتى نهاية عصر الإسكندر المقدوني، دار الفكر، ط:1، عمان، الاردن، 1435هـ -2014م،

2 احمد عبد الحليم دراز، تاريخ وحضارة الشرق الادنى القديم، دار التعليم الجامعي للطباعة والنشر والتوزيع، الاسكندرية.

3 السيد عبد العزيز، تاريخ المغرب الكبير، ج2

4 اندريه ايمار – جانين ابوايه، تاريخ الحضارات العام الشرق واليونان القديمة، عويدات للنشر والطباعة، بيروت – لبنان

5 أحمد اسماعيل الجبوري- خولة محمود الصميدعي، تاريخ العلوم عند المسلمين، دار الفكر، ط:1، عمان، 1435هـ/2014م.

6 أحمد خالد عبد المنعم، حمورابي – دراسة تاريخية – ، ط:1، 1436هـ – 2015م

7 أحمد علي اسماعيل، الجغرافيا العامة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، جامعة القاهرة، 1995م–1996م

8 أحمد نفيس، جهود المسلمين في الجغرافيا، وكالة الصحافة العربية، تر: فتحي عثمان، 2021م

9 بكير بوعروة، تاريخ علماء الفلك في بلاد الأندلس(138هـ–484م)، د:ط، دار سحاق الدين للكتاب، الجزائر.

10 توفيق الطويل، في تراثنا العربي الاسلامي، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 1923م–1990م.

11 جمال الدين فالح الكيلاني، الرحلات والرحالة في التاريخ الإسلامي، دار الزنبقة، ط: 1، القاهرة، 2014م

12 حسان حلاق، دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية، دار النهضة العربية، ط:1–2، بيروت، 1409هـ–1989م

13 حسن خضيري احمد، صفحات من تاريخ المغرب الاسلامي، مكتبة المتنبي، ط1، 1426هـ–2005م

14 حكمت عبد الكريم فرحات– ابراهيم ياسين الخطيب، مدخل الى تاريخ الحضارة العربية الاسلامية، ط:1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان،1989م

15 حمدي احمد حامد، علم الجغرافيا والبيئة علاقة تأثير وتأثر، دار الراية للنشر والتوزيع، ط:1، عمان، بيروت، لبنان

16 راغب السرجاني، قصة الاندلس من الفتح الى السقوط، ج:1، مؤسسة اقرا للنشر والتوزيع، ط:1، القاهرة، 1432هـ–2011م

17 رمضان عبده علي، حضارة المصريين القدماء، مهد الرسل والرسالات وأرض النبؤات، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 2013

18 رونيه كلوزيه، تطور الفكر الجغرافين ط:1، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1982

19 شاكر خصباك، الجغرافيا عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط: 1، 1986م

20 صلاح الدين الشامي، الفكر الجغرافي سيرة ومسيرة، منشأة المعارف بالاسكندرية، 1999

21 عاطف محمد، عبقري علم الرياضيات الخوارزمي، دار اللطائف، ط: 1، القاهرة، 2003م

22 عباس فاضل السعدي، الجغرافيون العرب حتى القرن الثالث عشر الهجري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2023

23 عبد الرحمان حميدة، أعلام الجغرافيين العرب، دار الفكر، ط: 1، دمشق، 1995م

24 عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني دراسة سياسية– عمرانية– اجتماعية– ثقافية، ج:1، موفم للنشر، الجزائر، 2002م

25 عبد اللطيف محمد عامر، علوم السنة وعلوم الحديث (دراسة تاريخية– حديثة– اصولية)، ط:1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1421هـ–2000م

26 عصام عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب والاندلس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة

27 علي بن عبد الله الدفاع، رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية والاسلامية، مكتبة النوبة.

28 عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج: 1، مؤسسة الرسالة، ط: 1، بيروت، د: ت

29 عمر سليمان الاشقر، تاريخ الفقه الاسلامي، ط:3، دار النفاس، الاردن، 1412هـ–1991م

30 عيسى علي ابراهيم، الفكر الجغرافي والكشوفات الجغرافية، دار المعرفة الجامعية، 2006

31 فتحي محمد أبو عيانة ، دراسات في جغرافية شبه جزيرة العرب، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999

32 فخري خليل النجار، تاريخ الحضارات العربية الاسلامية، دار الصفاء للنشر والتوزيع، ط:1، عمان، 1432هـ/2011م

33 فلاح شاكر أسود، المقدسي، سلسلة نوابغ الفكر العربي، ط: 1، هيئة كتابة التاريخ، 1988م

34 فيان موفق النعيمي – ياسر عبد الجواد المشهداني، تاريخ اليونان والرومان في الشرق الادنى، ط:1، دار الفكر ناشرون وموزعون، المملكة الاردنية الهاشمية – عمان، 2013–1434

35 قاسمي بختاوي، شذرات من تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط، دار الكتاب المعاصر

36 محمد ابراهيم القيوصي، تاريخ الفلسفة الاسلامية في المغرب والاندلس، دار الجيل، ط:1، 1417هـ–1997م

37 محمد العبدري البلنسي، الرحلة المغربية، منشورات بونة للبحوث والدراسات، ط:1، الجزائر، 1428هـ-2007م

38 محمد حسين محاسنة، الحضارة الاسلامية، مركز يزيد للنشر، ط:1، عمان، 2004-2005م

39 محمد صبحي عبد الحكيم- ماهر عبد الحميد الليثي، علم الخرائط، مكتبة الأنجلو المصرية، 1984م

40 محمد صبحي عبد الكريم، دراسات في الجغرافيا العامة، دار النهضة العربية، القاهرة، 1980م

41 محمد محمود حمدين، الجغرافيا والجغرافيين بين الزمان والمكان، ط:2، دار الخريجي للنشر والتوزيع، الرياض، 1996 هـ-1417م

42 محمد محمود محمدين، التراث الجغرافي الاسلامي، ط :الثالثة، دار العلوم للطباعة والنشر، السعودية، 1419هـ /1999م

43 نبيل موسى الجبالي، الحضارة الاسلامية أهدافها مظاهرها انتشارها، مكتبة المجتمع العربي، ط:1، عمان، الاردن، 1433هـ/2012م

44 يحي بوعزيز، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، سحب الطباعة الشعبية للجيش، 2007م

45 يسرى الجوهري، الخرائط الجغرافية، مكتبة الاشعاع للنشر والتوزيع، الاسكندرية، 1997م

ثالثا المقالات والدوريات:

1 إلياس بلكا، (جغرافية عالم الإسلام في فكر ابن خلدون)، مجلة التفاهم

2 أسامة الطيب جعيل، الجغرافيا عين التاريخ المبصرة في بلاد المغرب الاسلامي خلال العصر الوسيط ق5/3هـ- 10/09م، مجلة إضاءات، جامعة الجزائر02، الجزائر العاصمة، 2018/12/31م

3 بوشموش محمد، التاريخ السياسي والعمراني لمدينة تلمسان في العصر الوسيط، المجلة التاريخية الجزائرية، ع: 10، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، ديسمبر 2018م

4 حسين صالح حسن الربيعي، أثر ابو عبيد البكري الأندلسي في الفكر العربي الاسلامي، مجلة الآداب، ع: 123، كلية الامام كاظم للعلوم الاسلامية للجامعة، 1439هـ/2017م

5 حسين علوي ناصر الزيادي، تطور الفكر الجغرافي في الحضارات القديمة، مجلة اوروك، ع:1، م:7، قسم الجغرافية، كلية الآداب، جامعة ذي قار، 2014

6 سعيد عبده، تطور الفكر الكارتوجرافي عند الجغرافيين العرب في العصور الوسطى "دراسة في الجغرافيا التاريخية"، مجلة المجمع العلمي المصري، م: السابع والتسعون، 2022م

7 سلام ناصر ووالي–عقيل عبد الله ياسين، محاضرة تاريخ الرحلة وأسبابها عند الرحالة العرب والمسلمين في العصر العباسي، جامعة واسط، كلية التربية

8 سليم محمد الشريري– عبد الله سالم بازينة، نشأة المدن الاسلامية من خلال مدن المغرب الاقصى فاس– سبتة– مراكش– الرباط، مجلة البحوث الاكاديمية، ع:17، جامعة مصراتة، 2021م

9 عزيزة زايد مصطفى، إسهامات العرب والمسلمين في علوم الجغرافيا والبحار النشأة والتطور، مجلة بحوث الشرق الأوسط، ع:46، كلية الآداب، جامعة المنوفية

10 علي الشباطات، تطور صناعة الخرائط في العالم العربي والإسلامي من(2300 ق.م–1400م)، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، م: 7، ع: 3، 2010م

11 فوزية كراز، مسالك الحجاج المغاربة من خلال الرحلات المغربية الرحلات الحجازية، جامعة معسكر، الجزائر

12 لخضر عبدلي، العلوم الدينية بتلمسان خلال عهد بني زيان، مجلة القرطاس، ع:1، 2012

13 مبارك بوطارن، القيروان بوصفها أول حاضرة إسلامية في بلاد المغرب ودورها في الإشعاع العلمي، حوليات التاريخ والجغرافيا، م: الثامن، ع: 2

14 محمد الصافي، أهمية كتب الرحلات كمصدر في تدوين التاريخ : رحلة ابن بطوطة نموذج، مجلة آفاق للعلوم، م: 5، ع: 4، الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين، المملكة المغربية، 2020م

15 محمد صياح العبسي، موقف المسعودي من الخوارج في العهد الأموي من خلال مؤلفاته، مجلة المؤرخ المصري، يوليو 2019م، ج: 2، ع: 55

16 محمد قويسم، مفاهيم جغرافية عند المسلمين في العصر الوسيط، دورية كان التاريخية، ع:13، سبتمبر، 2011

17 مصطفى باديس اوكيل، نشأة وتطور الحواضر بالمغرب الأدنى ما بين القرن الاول الى القرن الرابع هجري، مجلة عصور الجديدة، ع:11–12،1434هـ–1435هـ/ 2013–2014م

18 موسى جبريط، مخطوط بغية الطلاب في علم الإسطرلاب للجاك التلمساني (دراسة وتقديم)، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال افريقيا، م:5، ع:1، يناير 2022

19 نور الدين امعيط، الرحلة المغربية إلى الحجاز خلال العصر الوسيط رحلة العبدري نموذجا، كان التاريخية، ع: السادس والثلاثين، السنة العاشرة، يونيو 2017م

رابعا الرسائل الجامعية:

1 ابراهيم بن عطية الله بن هلال السلمي، تاريخ مدينة طليطلة في العصر الاسلامي دراسة تاريخية حضارية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاسلامي، 92هـ-478هـ، المملكة العربية السعودية

2 البشير بوقاعدة، خراب المدن بالمغرب الاوسط بين 296هـ/209م- 547هـ/1115م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المشرق والمغرب الاسلامي، بوزريعة الجزائر، 2012م-2013م

3 أمل هشام أحمد نصار، المقدسي البشاري، أبو عبد الله، شمس الدين محمد بن أبي بكر(ت 380هـ/990م) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم دراسة في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والدينية والادارية والعمرانية، أطروحة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ، كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2008م

4 بسام كامل عبد الرزاق شقدان، تلمسان في العهد الزياني633-962هـ/ 1235-1555م، رسالة مقدمة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير، قسم التاريخ، كلية الدراسات العليا، جامع النجا الوطنية، نابلس- فلسطين، 1422هـ/ 2002م

5 تيرس نوح، جهود علماء المغرب الأوسط في تطور العلوم النقلية من ظهور الرستميين الى نهاية الزيانيين (160-962هـ/177-1554م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الاسلامي الوسيط، قسم العلوم الانسانية جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 1439-1440هـ/2018-2019م

6 حسام نجم الدين عبد الشمري، المنهج الجغرافي عند ابن حوقل، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه فلسفة في الجغرافيا، قسم الجغرافية، جامعة ديالي، جمهورية العراق، 1435هـ/2014م

7 محمد عليلي، الإشعاع الفكري في عهد الاغالبة والرستميين خلال القرنين 2-3هـ/8 -9م، مذكرة نيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الوسيط، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة ابي بكر بلقايد- تلمسان-، 1428-1429هـ/ 2007-2008م

8 يزيد بودربالة، الأنساق الثقافية في السرد الرحلي العربي القديم -دراسة في نماذج مختارة من القرن 4هـ إلى القرن 8هـ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص أدب قديم، جامعة 08 ماي 1954م، قالمة، 2022م/2023م

خامسا المحاضرات:

1 حسام نجم الدين، مجموعة محاضرات نشرت على موقع جامعة ديالي على الرابط https://coehuman .uodiyala.edu.iq:، تم الاطلاع عليه بتاريخ 2025/01/05

2 سلام ناصر ووالي-عقيل عبد الله ياسين، محاضرة تاريخ الرحلة وأسبابها عند الرحالة العرب والمسلمين في العصر العباسي، جامعة واسط، كلية التربية

3 كمال عبد الله حسن، مجموعة محاضرات نشرت على موقع جامعة الأنبار على الرابط https://www.uoanbar.edu-iqتم الاطلاع عليه بتاريخ 2025/01/10

4 لعريبي بلال، تاريخ العلوم في الغرب الاسلامي، مطبوعة بيداغوجية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة البليدة2لونيسي علي، 2021/2020م

5 مسعود كربوع، مجموعة محاضرات نشرت على موقع جامعة بسكرة على الموقع:https://elearning.univ-biskra.dz، تم الاطلاع عليه بتاريخ: 2025/03/13

سادسا المواقع الإلكترونية:

1 موقع ويكيبيديا على الرابطhttps://arwikipidia .org تم الاطلاع على الرابط بتاريخ 2025/01/24

2 موقع ويكيبيديا على الرابط https://ar.m.wikipedia.org:تم الاطلاع على الرابط بتاريخ 2025/01/26

3 موقع مفكرون على الرابط https://mufakeroon.com :تم الاطلاع على الرابط بتاريخ 2025/01/27

4 موقع ويكيبيديا على الرابط: https://ar.m.wikipedia.org ، تم الاطلاع على الرابط بتاريخ 2025/03/18.

الفهارس

فهرس الأشكال

الشكل	العنوان	الصفحة
الشكل 01	خريطة الحواضر العلمية في الغرب الإسلامي	54
الشكل 02	أنواع الإسطرلاب	63
الشكل 03	خريطة ابن حوقل	72
الشكل 04	خريطة العالم الإسلامي للمقدسي	74
الشكل 05	خريطة نهر النيل للخوارزمي	77
الشكل 06	خريطة ملونة للقارات الثلاث للإدريسي	96

فهرس المحتويات

الفصل	العنوان	الصفحة
المقدمة	المقدمة	أ-ح
الفصل التمهيدي	الجغرافيا وتطور الفكر الجغرافي في الحضارات القديمة	11-26
	1- مفهوم علم الجغرافيا	13
	2- ماهية الفكر الجغرافي	14
	3- الفكر الجغرافي في الحضارات القديمة	15
	أ-عند المصريين	15
	ب-عند البابليين	17
	ت-عند الإغريق (اليونانيين)	19
	ث-عند الرومان	21
	ج-عند الفينيقيين	24
الفصل الأول	ملامح النهضة العلمية في الغرب الاسلامي	27-58
	1-السياق التاريخي للغرب الإسلامي	29
	أ-الفتح الإسلامي لبلاد المغرب	29
	ب- فتح الاندلس	31
	ت- عوامل ازدهار الحضارة العربية الاسلامية	33
	ث- التفاعل الحضاري بين الحضارات	35
	2-تطور العلوم في الغرب الاسلامي	37
	أولا: العلوم النقلية	37
	أ- القرآن الكريم والتفسير	38
	ب-علم الحديث	42
	ثانيا: العلوم العقلية	45
	أ-اللغة وفن الموشحات	46
	ب-التدوين التاريخي	48
	ت-الجغرافيا	50
	ث-علم الفلك	51
	ج- علم الطب	51
	ح- علم الصيدلة	52

	3-الحواضر العلمية في الغرب الاسلامي	53
	أ-في المغرب الأوسط	53
	ب- في المغرب الأدنى	54
	ت- في المغرب الاقصى	55
	ث- في الاندلس	56
الفصل الثاني	تطور علم الجغرافيا عند المسلمون في المشرق الإسلامي	77-59
	1-اهتمام المسلمون بالجغرافيا وجهودهم فيها	61
	أ-أسباب اهتمام المسلمين بالجغرافيا	61
	ب- جهود المسلمون في الجغرافيا	62
	2- دور العرب واسهامهم في الفكر الجغرافي	64
	أ- تعريف الجغرافيا عند العرب	64
	ب- الفكر الجغرافي العربي	65
	ت- إسهامات العرب في الفكر الجغرافي	66
	3- أبرز علماء الجغرافيا في العصر الإسلامي	71
	أ- ابن حوقل	71
	ب- المقدسي	73
	ت- اليعقوبي	75
	ث- المسعودي	75
	ج- الخوارزمي	76
الفصل الثالث	اسهامات الغرب الإسلامي في الجغرافية	100-78
	1-الخرائط في الغرب الإسلامي	80
	أ- ماهية الخريطة	80
	ب-خصائصها	80
	ت-أنواع الخرائط	82
	ث-مراحل تطور رسم الخريطة في الغرب الإسلامي	83
	2-دور الرحلة في تطور الفكر الجغرافي	86
	أ-ماهية الرحلة دوافعها وأنواعها	86
	ب-أهم الطرق والمسارات بين الغرب الإسلامي والمشرق	90
	ت-وصف البلدان	92

	3-أبرز علماء الجغرافيا في الغرب الإسلامي	96
	أ-الإدريسي	96
	ب- البكري	97
	ت- ابن بطوطة	98
	ث- ابن خلدون	99
خاتمة	خاتمة	103-101
المصادر والمراجع	قائمة المصادر والمراجع	114-104
الفهارس	فهرس الأشكال	116
	فهرس المحتويات	117

الملخص:

عرف الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط تطورًا ملحوظًا في الفكر الجغرافي، نتيجة التفاعل العلمي والثقافي مع المشرق الإسلامي ومع الحضارات السابقة. وقد جاء هذا التطور نتيجة مسار معرفي بدأ بتأثر المسلمين بالجغرافيا عند الحضارات القديمة، خاصة اليونانية، ثم ما لبث أن تطوّر ضمن سياق النهضة العلمية التي شهدها الغرب الإسلامي، والتي تميّزت بتعدد مراكز العلم وظهور عدد من العلماء البارزين. وفي الوقت نفسه، شهد المشرق الإسلامي بدوره تطورًا في علم الجغرافيا، ما ساعد على تبادل التأثيرات بين شقي العالم الإسلامي. غير أن ما يميز الغرب الإسلامي هو خصوصية إسهاماته الجغرافية التي جمعت بين الوصف الدقيق، والرحلة الميدانية، والرسم الخرائطي، كما يظهر في أعمال الإدريسي، وابن بطوطة، والحسن الوزان.

الكلمات المفتاحية: الفكر الجغرافي – الغرب الإسلامي – العصر الوسيط

Abstract:

During the medieval period, the Islamic West experienced significant development in geographical thought, as a result of scientific and cultural interaction with the Islamic East and earlier civilizations. This evolution stemmed from a knowledge trajectory that began with Muslims being influenced by the geography of ancient civilizations, especially the Greeks. It later advanced within the context of the scientific renaissance that took place in the Islamic West, marked by the multiplicity of scientific centers and the emergence of prominent scholars. At the same time, the Islamic East also witnessed progress in the field of geography, which facilitated the exchange of influences between the two parts of the Islamic world. What distinguishes the Islamic West, however, is the uniqueness of its geographical contributions, which combined detailed description, field travel, and cartographic representation—as seen in the works of al-Idrisi, Ibn Battuta, and al-Hasan al-Wazzan.

Keywords: Geographical Thought – Islamic West – Medieval Period